

في أيام غسان مع الأحاليف في الشعر الجاهلي

للدكتور نصرت عبدالرحمن
الجامعة الأردنية

غسان

ثمة حارثان من غسان يردان في الشعر الجاهلي، ويردُ أحدهما متصلاً به أميران: النعمان وعمرو. وقمينٌ بدارس ذلك الشعر أن يستجلي أخبار أولئك الأمراء في كتب المؤرخين والأخباريين، حتى يلتئم جناحا الأدب والتاريخ، فيردُ الأدب التاريخ، ويُعطي التاريخ للأدب إطاراً زمانياً محدداً، على الرغم من تفلت الأدب من التحديد الزمني.

والحوارث من غسان عند اليعقوبي ستة: الحارث بن مالك، والحارث الأعرج، والحارث الأصغر، والحارث بن جبلة، والحارث بن أبي شمر بن الأيهم^(١)؛ وهم خمسة عند أبي الفداء^(٢) والأصبهاني^(٣): الحارث بن ثعلبة، والحارث بن جبلة، والحارث بن الأيهم، والحارث بن حُجر، والحارث بن جبلة بن الحارث. وهم أربعة عند ابن الأنباري^(٤) وابن الكلبي^(٥): الحارث الجفني، والحارث الأعرج، والحارث

(١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي (دار العراق، بيروت، ١٩٥٥)، ١: ٢٣٤-٢٣٥.

(٢) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر (دار المعرفة، بيروت)، ١: ٧٢-٧٣.

(٣) الأصبهاني، حمزة بن الحسن، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء (دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟)، ص ٩٨-١٠٤.

(٤) ابن الأنباري، أبو محمد القاسم بن محمد، ديوان المفضليات (تحقيق كارلوس لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠)، ص ٧٧٤.

(٥) ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، جمهرة النسب (تحقيق محمد فردوس العظم، دار اليقظة العربية، دمشق، ؟)، ٢: ٣٦٤-٣٦٧.

الأكبر، والحارث الأصغر عند المفضل؛ والحارث بن ثعلبة، والحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة، والحارث بن جبلة بن أبي شمير عند ابن الكلبي. وهم ثلاثة عند ابن حبيب^(١) والمسعودي^(٢) وابن خلدون^(٣) وابن سعيد^(٤) والجاحظ^(٥): الحارث بن ثعلبة، والحارث بن جبلة، والحارث الأعرج عند ابن حبيب وابن خلدون، والحارث بن عمرو، والحارث بن ثعلبة، والحارث بن أبي شمير عند المسعودي، والحارث بن ثعلبة، والحارث بن جبلة، والحارث بن الأيهم عند ابن سعيد، والحارث الأكبر والأوسط والأصغر عند الجاحظ.

وقد درس نولدكه "معظم القوائم التي رواها الأخباريون لأمرء الغساسنة، ونقدها وغربلها وقارن الحاصل بما وجدته في الموارد البيزنطية"^(٦)، فجعل الحوارث ثلاثة: الحارث بن جبلة الذي شغل وظيفة العامل الأكبر من سنة ٥٢٩م، وتوفي سنة ٥٦٩م، والحارث الأصغر بن الحارث الأكبر، والحارث الأعرج بن الحارث الأصغر،

-
- (١) ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية، المحبر (تحقيق إيلزة ليختن، حيدر آباد، ١٩٤٢)، ص ٣٧٢.
 - (٢) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٨)، ص ٢: ١٠٧.
 - (٣) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦١)، ٢: ٥٨٣.
 - (٤) ابن سعيد، علي بن موسى، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب (تحقيق نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢)، ١: ٢٠٠-٢٠٨.
 - (٥) الجاحظ، عمرو بن بحر، البرصان والعرجان والعميان والحولان (تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٢)، ص ١١٠-١١١.
 - (٦) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (دار العلم للملايين ببيروت، ومكتبة النهضة ببغداد، ١٩٧٦)، ٣: ٤٤٤.

وكانا - عند نولدكه- بين سنتي ٥٨٣م و ٦١٤م^(١). وقد اقتفى أثر نولدكه جلّ المؤرخين من العرب الذين أرخوا لغسان، ومنهم جواد علي.

وقد اقتدر نولدكه على أن يجلو الغموض الذي غلّف حياة الحارث بن أبي شمير، فهو الحارث بن جبلة "أول أمراء بني جفنة وأعظمهم شأنًا"^(٢)، وهو الذي "احتلّ في مخيلة العرب مركزاً سامياً، ودعوه أيضاً الحارث بن أبي شمير مما يدلّ على أن أباه كان يكتى بأبي شمير"^(٣)، وهو الذي "حارب المنذر أمير الحيرة، وانتصر عليه في شهر نيسان من سنة ٥٢٨م"^(٤)، وذكره بروكوبيوس Procopius في تاريخه فقال: "إن الإمبراطور بوسنتيان رقى الحارث بن جبلة إلى رتبة ملك، وبسّط سلطته فوق قبائل عربية، وأن عرضه كان أن يُقيم خصماً قوياً في وجه المنذر، ملك عرب الفرس"^(٥). وهو صاحب يوم حليلة الذي قُتل فيه المنذر بن ماء السماء، وكان في شهر حيران سنة ٥٥٤م^(٦).

(١) نولدكه، ثيودور، أمراء غسان (ترجمة بندلي خوري وقسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣)، ص ٥٧.

(٢) نفسه، ص ٩.

(٣) نفسه، ص ٢٢.

(٤) نفسه، ص ١٠.

(٥) أمراء غسان ص ١١.

(٦) انظر: أمراء غسان، ص ١٩-٢٠. وانظر في الحارث بن جبلة:

Hart, Cl., *Historie des Arabes*, (2Tomes, Paris, Libraire Paul Geuthner, 1912) Tome 1, PP. 60-62.

O'Leary, *Arabia Before Mohammad*, (London, Kegan Paul, 1927) PP. 164-165.

Hitti, Philip, *History of Syria* (London, Macmillan & Co LTD, 1953) PP.402- 404.

وقد جعل هوار الحارث بن أبي شمير سابقاً الحارث بن جبلة، ولم يتحدّث أوليري وفيليب حتّى عن الحارث الأعرج والحارث بن أبي شمير.

فنولدكه قد جلا أمر الحارث بن أبي شمّر، ولكنه لم يجُلْ أمر الحارث الأعرج،
أو أن جلاءه له لا يوافق الشعر الجاهلي. لقد جعله ابن الحارث الأصغر بن الحارث
الأكبر^(١)، ورجح أن يكون تولّيه الإمارة بين سنتي ٥٨٣م و ٦١٤م^(٢).
وأول ما يشعّب على نُولدكه من الشعر الجاهلي قولُ عبيد بن الأبرص الأسدي^(٣)

نَحْنُ قُدْنَا مِنْ أَهَاضِيبِ الْمَلَا الـ خَيْلٌ فِي الْأَرْسَانِ أَمْثَالِ السَّعَالِي^(٤)
شَرْبًا يَغْشَيْنُ مِنْ مَجْهُولَةٍ الـ أَرْضٍ وَعَثًّا مِنْ سُهولٍ وَجِبَالِ^(٥)
فَانْتَجَعْنَا الْحَارِثَ الْأَعْرَجَ فِي جَحْفَلٍ كَاللَّيْلِ خَطَّارِ الْعَوَالِي^(٦)

فإذا كان عبيد بن الأبرص قد قتله المُنذر بن ماء السماء في قصة مشهورة،
وإذا كان المُنذر بن ماء السماء معاصراً للحارث بن شمّر، بل هو قَتيل الحارث في
يوم حلّمة في حزيران لسنة ٥٥٤م، فهذا يعني أن عبيداً قُتل قبل سنة ٥٥٤م وهي
السنة التي قُتل فيها المنذر، وهذا يعني أيضاً أن عبيداً عاصر الحارث بن أبي
شمّر بن ماء السماء.

* * *

ولكن عبيداً في الأبيات يتحدّث عن انتجاع الحارث الأعرج. فأنى يستقيم أن
يتأخر الحارث الأعرج إلى ما بعد سنة ٥٨٣م؟

(١) أمراء غسان، ص ٢٤.

(٢) نفسه، ص ٥٧.

(٣) ديوان عبيد بن الأبرص (تحقيق حسين نصار، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧)، ص ١١٦.

(٤) المَلَا: الصَّحْرَاءُ. والسَّعَالِي: جمع السَّعْلَاءِ، وهي أنثى الغُول.

(٥) الشَّرْبُ: جمع الشَّارِبِ، وهو الشَّامِرُ اليابس. وَيَغْشَيْنُ: يَدْخُلْنَ. وَالْوَعَثُ: الأرض التي تَغِيْبُ
فيها القوائمُ فيعسرُ السَّيرُ عليها.

(٦) الجَحْفَلُ: الجيش العظيم. والخَطَّارُ: الطويل الذي يَضْرِبُ لَطولَه. والعَوَالِي: جمع العالية،
وهي أعلى الرمح.

يظهر أن الحارث الأعرج هو الحارث بن أبي شَمِر وهو الحارث بن جبَلَة، فالأسماء الثلاثة لمُسمّى واحد. وقد قال بهذا الرأي ابن عبد ربه^(١) وابن الأثير^(٢) من القدماء، ونبیه عاقل^(٣) من المحدثين.

وثاني ما يَشْعَب على نولدكه من الشعر الجاهلي شعرٌ لحاتم الطائي ذكر فيه صراحة اسم الحارث بن عمرو، فقال^(٤):

أبْلِغِ الحارثَ بنَ عَمْرٍو بِأَنِّي حَافِظُ الوُدِّ مُرْصِدٌ لِلنَّوَابِ

وذكر اسم أمه، وذكر أن حارثين نُمِيَاه، فقال^(٥):

نَمَثُّهُ أُمَامَةً والحارثُ نَ حَتَّى تَمَهَّلَ سَبْقاً جَدِيداً

وليس في قائمة نولدكه هذا الأمير.

ولا بدّ من التماس العُدْر لنولدكه، فهذا اسم لا يرد في أية قائمة من قوائم أمراء غسان التي صنعها المؤرخون، إلا في قائمة (هوار) Huart إذا جاز أن أسميها قائمة - حيث جعل أبا شَمِر الحارث بن عمرو أولَ أمراء غسان في الشام، وأنه عاش زمن الإمبراطور البيزنطيّ أنا ستازيوس (٤٩١-٥١٨م)^(٦). ومُحال أن يكون حاتم أدركَ ذلك الزمن.

(١) ابن عبد ربه، أحمد بن عبد ربه، العقد الفريد (المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٣٥)، ٢: ٥٤.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ (الطبعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٨هـ)، ١: ٥٤٧.

(٣) نبیه عاقل، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، (دار الفكر، بيروت، ١٩٧٥)، ص ١٥٩.

(٤) ديوان شعر حاتم الطائي (تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، ؟)، ص ١٩٤.

(٥) نفسه، ص ٢٠٧.

(٦) Histoire Des Arabes, Tome, 1p. 60.

(٢)

الأحالف

الأحلاف في العصر الجاهلي كُثُر، وقد أحاط ببعضها أصحاب المُعْجَمات ومنهم ابن منظور: فقد أورد الأحلاف في قريش: عبد الدار وَجُمَحَ وَسَهْمٌ وَمَخْزُومٌ وَعَدِيٌّ بن كعب. وأورد الأحلاف في شعر زهير بن أبي سلمى، ومنها قوله^(١):

تداركُنْما الأحلافَ قد تُلَّ عَرَشُها وذبيانَ قد زَلَّتْ بأقدامِها النَّعْلُ

وقوله^(٢):

ألا أبلغ الأحلاف عني رسالةً وذبيانَ هل أفسَمْتُمُ كلَّ مَقْسَمِ^(٣)

وقال: "ويقال ابني أسدَ وطِيئِ الحليفان، ويقال أيضاً لفزارة ولأسدَ حليفان؛ لأن خُزاعة لما أُجِلَّتْ بني أسدَ عن الحَرَمِ، خرجت فحالفتُ طِيئاً، ثم حالفت بني فزارة"^(٤).

وقال أبو عُبَيْدة في خبر يوم النَّسار: "تحالفتُ أسدَ وطِيئِ وَعَطْفان، ولجِحتُ بهم ضَبَّةً وعديّ، فغزوا بني عامر، فقتلوهم قتلاً شديداً"^(٥).

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٤)، ص ١٠٩.

(٢) نفسه، ص ١٨ (والبيت من المعلقة).

(٣) هكذا وردت رواية البيت في اللسان.

(٤) لسان العرب (دار صادر ودار بيروت، ١٩٥٦)، مادة حلف.

(٥) العقد الفريد، ٣: ٣٧٥.

ومن خبر يوم النَّسار أيضاً ما ذكره الشَّمشاطي، قال: "وهو يوم لبني أَسَدَ وِغَطَفَانَ وِطِيَّءَ، وهم الأَحَالِيفُ على بني عامر... وكان سبب يوم النَّسار أن بني تميم كانوا يأكلون عُمومتهم بني ضَبَّةَ وبني عبد مناة، فأصابوا رَهْطاً من بني تميم، فَطَلَبْتُهُمْ تَمِيمَ، فَلَحِقَتْ الرَّيَابُ ببني أَسَدِ ابْنِ خُرَيْمَةَ، وهم يومئذ حلفاء لبني بَغِيضِ ابْنِ غَطَفَانَ، وَحُلَفَاؤُهُمْ أيضاً بنو وِطِيَّءَ. ورئيس دُبَيَانَ حِصْنِ بْنِ حُدَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ، ورئيس بني أَسَدَ عَوْفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ جَدِيمَةَ بْنِ نَصْرِ بْنِ قُعَيْنَ، ويقال خالد بن نَضْلَةَ الأَسَدِيِّ، ورئيس الرَّيَابِ يوم النَّسار الأَسود بن المنذر أخو النعمان. وحدَّثَ قَيْسُ بْنُ غَالِبٍ أَنَّ رَئِيسَ الرَّيَابِ وَجَمَاعَةَ الأَحَالِيفِ يوم النَّسار حِصْنُ بْنُ حُدَيْفَةَ، وَأَنشَدَ فِي تَصَدَاقِ ذَلِكَ قول زُهَيْرِ (١):

وَمِنْ مِثْلِ حِصْنٍ فِي الحُرُوفِ وَمِثْلُهُ لَأَنْكَارِ ضَيْمٍ أَوْ لِأَمْرِ يُحَاوِلُهُ
إِذَا حَلَّ أَحْيَاءُ الأَحَالِيفِ حَوْلَهُ بِذِي لَجَبٍ هَدَّائُهُ وَصَوَاهِلُهُ (٢)

* * *

فالأحالييف الذين أعنيهم في هذا البحث هم: أَسَدَ وَدُبَيَانَ وَطِيَّءَ وَضَبَّةَ، وهي تسمية ليست طارئة، أو تسمية أملت لها لوازم البحث، وإنما هي تسمية لزمّت تلك القبائل حتى بدت كالعلم عليها.

وذيّار الأربع قبائل متداخلة، فهي تشكّل ما يمكن أن تكون وحدة جغرافية، فهي تمتدّ من شرق جبلي أجأ وسلّى (شَمَرُ اليوم) حتى شرق المدينة، فكأنها درع يقي شمال الجزيرة العربية.

(١) انظر الديوان، ص ١٤٣-١٤٤.

(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار (تحقيق السيد محمد يوسف، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٧)، ص ١٤١-١٤٢.

لم تكن ديار غسان - على الرغم من الغموض الذي يحيط بامتدادها - مُصاقبة لديار الأحاليف فبينهما سيرٌ تسعُ ليالٍ للعاجلِ المُنتاب، كما يقول حاتم الطائي^(١).

ولكن بعد الشُّقَّة لم يصرف غسان عن التطلُّع إلى نجد، والإيقاع بالقبائل النجدية كطيِّ وأسد وذبيان وتميم وضبة، وبلغ مُغارها كِنانة، "فقلَّما وقفت غسان للرشد"^(٢) كما يقول عبيد بن الأبرص.

أما أن بعد الشُّقَّة لم يصرف غسان عن التطلُّع إلى نجد، فلأن القبائل اللواتي كن يحجزن بين غسان والأحاليف كن خاضعات لنفوذ الروم البيزنطيين، كغسان نفسها، وهن حليقات لغسان، وقد ناصرنها، واشتركن معها في الغارة، ولا نكاد نستثني منهنَّ غير عُذرة - وبني حُنَّ منها خاصة - الذين غزاهم النعمان بن الحارث الأصغر في وادي القُرى، فهزموه، كما يتبدَّى من شعر النابغة الذبياني^(٣).
وأما كَلْبُ وفُضاعة وبليِّ وسلِّح فكنَّ يشتركن مع غسان في الغارة.

وقد تنبّه الشاعر الجاهلي إلى المؤازرة التي تلقاها غسان، حتى إن الأخنس ابن شهاب التغلبي قد جعل عز غسان في سواها، فقال^(٤):

وَعِسانُ حَيٌّ عِرْهُمُ فِي سِوَاهُمْ يُقَاتِلُ عَنْهُمْ مِقْتَبٌ وَكَتائبُ^(٥)

(١) انظر الديوان (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص ١٩٤.

(٢) انظر الديوان، ص ٦٠.

(٣) انظر الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٩٨.

(٤) من قصيدته المشهورة التي مطلعها:

لابنةِ حِطَّانَ بنِ عَوْفِ منازلُ كما رَقَّشَ العُنُوانَ في الرِّقِّ كاتبُ

انظر المفضليات (تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة،

١٩٧٦)، ص ٢٠٥.

(٥) المِقْتَبُ: الجماعة من الخيل.

ويرد ذكر ما في جيش غسان من (أشائب) في شعر النابغة الذبياني^(١)، وقد حمل حسان بن ثابت مسؤولية هزيمة الحارث الأصغر أو الجفني أو مقتله عدم وجود أصحاب للحارث من جذم غسان^(٢).

ويمكننا أيضاً أن نتبين ذلك الاشتراك من أبيات للنابغة الذبياني، صور فيها غارة لعمر بن الحارث الأصغر على فزارة - وهي من ذبيان - فساق عمرو الرقيديات وهم "بطن من كلب"^(٣) من جوش ومن عظم، وأدخل في حملته سلاًفاً وأنفاراً من رهط ربعي وحجار الفضاعيين^(٤).

ولا بد لي من الإشارة إلى أن جل الشعر الذي تحدث عن أيام غسان مع الأحاليف جاء من شعراء تلك القبائل، وليس من شعراء غسان، فالشعر الذي وصل إلينا من غسان منزور^(٥).

(٣)

بين غسان وأسد

أ. في عهد الحارث الأعرج

يتحدث عبيد بن الأبرص وعمر بن شأس من شعراء أسد عن أيام قبيلتهما مع غسان، في عهد الحارث الأعرج.

(١) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٤٢.

(٢) ديوان حسان بن ثابت (تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤)، ١: ٢٠٤.

(٣) الفلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (تحقيق إبراهيم الأبياري، الشركة العربية، القاهرة، ١٩٥٩)، مادة رفيده.

(٤) انظر ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٧٧.

(٥) من شعر غسان المنزور شعر الشيزم بن الحارث الغساني. انظر القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، ذيل الأمالي والنوادر (مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧٣هـ)، ص ١٧٩.

أما أن هذا الصراع حدث في عهد الحارث الأعرج، فلأن عبيداً قد ذكره
صراحة "فانْتَجَعْنَا الحارث الأعرج"^(١)، فلا مجال بعد لتخمين أو ظن.

ويصوّر الشاعران - عبيد وعمرو - انتصار بني أسد على غسان يومي المُرار
والفُرَات (بالقاف وليس بالفاء كما ورد عند ابن حبيب^(٢)، والأصبهاني^(٣)): حيث
خرجت أسد في جَحْفَلٍ جرّار "حَطَّارِ العوالي"^(٤) "قَسَطْلُهُ ذائل"^(٥) كما قال عبيد، أو في
جَحْفَلٍ كالليل البهيم، كثير العدد وافر، والخيل الجرد تعدو في أعنتها كأنها القطا
الواردات، وهي تلوك اللُجْمُ، وتباري الرُكْبَ في عناد.

قال^(٦):

بِجَحْفَلٍ كبهيم اللَّيْلِ مُنْتَجِعٍ
القائدُ الخَيْلَ تَرْدِي فِي أعنتِهَا
من كُلِّ عَجَلِزَةٍ بادٍ نَوَاجِدُهَا
أَرْضَ العَدُوِّ لُهَامٍ وافرِ العَدَدِ^(٧)
ورَدَ القطا هَجَرَتْ ظِمْنًا إِلَى التَّمَدِ^(٨)
على اللُّجَامِ تُباري الرُكْبَ فِي عَنَدِ^(٩)

(١) الديوان، ص ١١٦.

(٢) المحبر، ص ٢٤٧. وعليه اعتمد جواد علي، انظر المفصل في تاريخ العرب، ٣: ٤٣٥.

(٣) الأغاني، ١١: ١٨٩.

(٤) ديوان عبيد بن الأبرص، ص ١١٧.

(٥) نفسه، ص ٩٩. والقَسَطَلُ: الغُبارُ في المعركة. والذائل: الطويل الذيل لا ينقطع. يريد أن
الغبار منتشر فوق الجيش وخلفه.

(٦) نفسه ص ٥٩.

(٧) اللُهَامُ: العظيم كأنه يلتهم كل شيء.

(٨) تَرْدِي: تَرَجُّمُ الأرض بحوافرها في عَدْوِهَا. وهَجَرَتْ: طارت في الهاجرة إذ يشتدّ الحرّ.
والتَّمَدُ: الماء القليل.

(٩) العِجَلِزَةُ (بكسر اللام وفتحها): الفرس الشديدة. والنَّوَاجِدُ: أقصى الأضراس. والعَنَدُ: المُعاندة.

وكلُّ أُجْرَدٍ قد مالت زِحالتهُ نَهْدِ المراكِلِ فَعُمِ نائِي الكَتْدِ^(١)

وهو جَحْفَلٌ يضمُّ فتيناً تَحَنَّرَ سيوفهم الأعناق، وفيهم كلُّ فتى كريم جواد،
غير قعيد زاد، ولا أوجل ضعيف، ولا أشلَّ يبیس الأنامل.

قال عمر بن شأس: (٢)

بأيديهم هندیةٌ تَحْتَلِي الطُّلَى كما فَضَّ جاني حَنْظَلٍ نَضَرَ حَنْظَلِ^(٣)
بكلِّ فتى يَعْصَى بكلِّ مُهَنَّدِ نَدٍ غيرِ مِبْطَانِ العَشِيَّاتِ عَجَلِ^(٤)
كَعَجَلِ الهِجَانِ الأدمِ ليس بزُمَحِ ولا شَنِجِ كَرِّ الأناْمِلِ زُمَّلِ^(٥)

وقد قُتِلَ يومَ القُرَاتِ (عَدِيّ) دون مشقة أو عناء، وقُتِلَ (فُرْص) يومَ المُرَارِ
حين حصرته الخيل من يمين ويسار.

قال عمرة بن شأس: (٦)

(١) الرَّحَالَةُ: السَّرَج. والنَّهْدُ: العالی المرتفع. والمراكِل: مَعَ المَرَكَل، وهو الموضع من الحصان
حيث يَهْمَزُه الرَّاكِب. ونَهْدُ المراكِل: كِنَابَةُ عن علو الجواد وإشرافه. والفَعْمُ: الممئل، وقد
خص الفيروز آبادي الفَعْمُ بامتلاء الذراعين (القاموس المحيط، البابي الحلبي، القاهرة،
١٩٥٢ - مادة فعم). والكِتْدُ: موضع اجتماع الكتفين.

(٢) شعر عمرو بن شأس (صنعة يحيى الجبوري، مطبعة الآداب النجف، ١٩٧٦)، ص ٥٨.

(٣) تَحْتَلِي: تَقْطَع. والطُّلَى: جمع طَلِيَّة (بضم الطاء) أو طَلَاة وهي العنق.

(٤) نَدٍ: كثير العطاء. والعَنْجَلُ: العظيم البطن.

(٥) الرُّمَحُ: الفقير المحتاج. والرُّمَلُ: الضعيف الجبان.

(٦) الجَزَعُ في الوادي: منعطفه أو منحاه. ومن الأرض المُشْرِفُ منها إلى جنبه طمأنينة.

والحَرْمَلُ: نَبَتٌ سهل الكسر له حبُّ أسود كالخَرْدَل.

وَنَحْنُ قَتْنَا بِالْفُرَاتِ وَجَزَعِهِ عَدِيًّا وَلَمْ يُكْسَرْ بِهِ عُوْدُ حَزْمَلٍ^(١)

وقال عبدة (أحد بني سعد بن ثعلبة):

أَلَيْسُوا فَوَارِسَ يَوْمَ الْقُرَا تِ وَالْخَيْلُ بِالْقَوْمِ السَّعَالِي

وقال عبدة بن الأبرص: (٢)

ثُمَّ غَادَرْنَا عَدِيًّا بِالْقَنَا الذَّبَلِ السُّمْرِ صَرِيحاً فِي الْمَجَالِ^(٣)
ثُمَّ عَجْنَاهُنَّ حُوصاً كَالْقَطَا الْقَارِبِ الْمَاءِ مِنْ أَيْنِ الْكَلَالِ^(٤)
نَحْوَ فُرْصٍ يَوْمَ جَالَتْ حَوْلَهُ الْخَيْلُ قُبَاً عَنِ يَمِينِ وَشِمَالِ^(٥)

وقال عبدة أيضاً وقد عدّد مآثر أسد: (٦)

وَنَحْنُ قَتْنَا مُرَّةَ الْخَيْرِ مِنْكُمْ وَفُرْصاً قَتْنَا كَانَ مِمَّنْ أَوْلئِكَا

وقال بعد حديثه عن خيل الغارة (٧):

(١) معجم البلدان، مادة فُرَات.

وقد جعل ياقوت عبدة أحد بني قيس بن ثعلبة. وقيس ثعلبة من بكر، ولا علاقة لها بالفُرَات.

(٢) الديوان، ص ١١٧.

(٣) القنا الذَّبَل: أنابيب الرماح الدِّقَاق. والعرب تسمي الشيء في بعض الأحيان باسم جزئه.

فالقناة أنبوب الرَّمح، وهي الرمح كله.

(٤) الحُوص: الغائرات العيون. والأين والكلال: التعب.

(٥) الخيل القُبُّ: الضوامر.

(٦) الديوان، ص ٩٤.

(٧) نفسه، ص ٦٠.

حتى تعاطين غساناً فحزبهم
لما رأوك وبلج البيض بينهم
عوت بنو أسد غسان أمرهم
وقلما وقفت غسان للرشد
يوم المرار ولم يلوا على أحد^(١)
وكل مطرد الأنبوب كالمسد^(٢)

وليس في ديوان عبيد ما يكشف حقيقة ضمير المخاطب في (رأوك)،
فالقصيدة في المدح، والممدوح غير متبين.

فمن هو؟

لا يظهر من شعر عبيد بن الأبرص وعمرة بن شأس قائد أسد في ذينك
اليومين، فشعرهما تبرز فيه الروح الجماعية للقبيلة، ويغيب فيها الفرد في عمرة
الجماعة، وهذه مزية تحفظ لشعراء أسد.

ولذا أجدني محتاجاً إلى تلمس اسم ذلك القائد في غير شعرهما. فقد ذكر ابن
حبيب^(٣)، والأصبهاني^(٤)، وياقوت^(٥)، أن قائد أسد يوم الفرات هو ربيعة بن حذار
الأسدي. وقد سلك ابن حبيب ربيعة في سبط القادة الجرارين، وهم الذين قادوا ألف
رجل^(٦).

ويخيل إلي أن ربيعة نال هذا الصفة بهذا الجحفل الذي قاده لقتال غسان، فقد
رأينا أن شاعري أسد قد صوراه جيشاً لهماً وافر العدد.

(١) لم يلوا على أحد: لم يعوجوا على أحد استعانةً به.

(٢) مطرد الأنبوب: طويل القناة طويلاً معتدلاً مقوماً.

(٣) المحبر، ص ٢٤٧.

(٤) الأغاني، ١١: ١٨٩.

(٥) معجم البلدان، مادة قرات.

(٦) المحبر، ص ٢٤٦.

وإذا صحَّ هذا، يكون ربيعةُ قد قاد أسداً عند الخلاص من حُجْر بن الحارث ابن عمرو المَقْصُور بن حُجْر آكل المُرار الكِنْدِي، أبي امرئ القيس، الذي مُلِّك على أسد في تاريخ معلوم، وفي قتال غسان في القُرَات والمُرار.

ويُفِيْتُ في وصف عمرو بن شَأْس ليوم القُرَات أنه جعلَ غسانَ غازيةً، وجعلَ أسداً مدافعةً أهلَ منزل، حيث قال^(١):

فلم أرَ حياً مثْلَهُمْ حينَ أقبلوا ولم أرَ حياً مثْلَنَا أهلَ مَنْزِل

فهل القُرَات في ديار أسد؟

وأما عبيد فقد جعلَ أسداً غازيةً، وجعلَ غسانَ مُدافعةً: فقد جاء في شعره "نحن فُذْنَا من أهاضيبِ المَلَا"^(٢) و "انتَجَعْنَا الحارثَ الأعرج"^(٣)، ثم غادرنا عَدِيًّا بالقنَا"^(٤) فهل القُرَاتُ خارج ديار أسد؟

فالقُرَات من ديار أسد عند عمرو بن شَأْس، وخارجها عند عبيد بن الأبرص. أهذا تناقض، والمتناقضان لا يجتمعان ولا يرتفعان كما يقول المنطقة؟ يحتاج تحديد المكان إلى من هو أقدر مني على تحديد الأماكن الخافية في شمال الجزيرة، فإذا جاز لي أن أرجح أقول: القُرَات خارج ديار أسد، استثناساً بتحديد ياقوت، في أن القُرَات وادٍ بينَ تهامةَ والشام"^(٥)، وديار أسد لم تبلغ تهامة، إذا اعتمدتُ على تحديد (ليال) لتلك الديار.

(١) شعره، ص ٥٧.

(٢) الديوان، ص ١١٦.

(٣) نفسه، ص ١١٧.

(٤) نفسه، ص ١١٧.

(٥) معجم البلدان، مادة قرات.

قال ليال: "وكانت حدود أرض أسد تمتدّ جنوبي تيماء المشهورة، وشرقي طريق التجارة العظيم الممتدّ من الشمال إلى الجنوب، وهو الآن طريق الحج من معان إلى المدينة، وغربي وجنوبي الحدّ الغربي من أجأ وسلّمى جبل طيّئ. وكانت أسد أقصى قبائل معدّ شمالاً، على الطريق من الجنوب إلى فلسطين وسوريّة، وراها قبائل عُذرة، وجُذام، وبليّ اليمنية، على الطريق التجاري، وإلى شرقها وشمالها الشرقي قبيلة كلب، اليمنية الأصل أيضاً، في المنخفضات المسماة الآن بوادي السرحان والجوف، يفصلها عن أسد شريط واسع من السلاسل الرملية - النفود الآن"^(١).

ولا بدّ لي من أن أستذكر أن يَوْمِي القُرات ومُرار حدثا في عهد عبيد بن الأبرص، فهو شَهد أو شاهد اليومين، وأما عمرو بن شأس فلم يعاصرهما. فعبيد رأى وعمرو سمع، وليس راءٍ كَمَنْ سمع كما يقال.

عبيد شاعر قديم عايش عهد الحارث بن أبي شمر الأعرج، وقتلُه المنذر بن ماء السماء اللّخميّ، الذي قُتِل، قتله الحارث زهاء سنة ٥٥٤م، فعبيد بذلك قتل قبل تلك السنة.

وعمر بن شأس شاعر مخضرم، شهد القادسية (١٥هـ / ٦٣٧م)، وقال فيها شعراً^(٢). فلو كان أدرك عهد الحارث الأعرج لغدا إبان القادسية شيخاً كبيراً يدُلّف في التسعين. وما في التسعين مُتّة على جهاد، أو اصطبار عليه.^(٣)

القُرات والمُرار في شعر النابغة الذبياني

(١) ترجم حسين نصار مقدمة ليال في تحقيقه للديوان. انظر ديوان عبيد بن الأبرص، ص ١٣-١٤ (المقدمة).

(٢) انظر شعره، ص ٨٦-٨٧.

(٣) انظر مقدمة يحيى الجبوري لشعر عمرو بن شأس، ص ١٧-١٨.

قال الطُّوسِيّ: "حين قَتَلْتُ بنو عَبْسِ نَضْلَةَ الأَسَدِيّ، وقَتَلت بنو أسد منهم رجلين، فأراد عُيَيْبَةُ^(١) عَوْنُ بني عبس، أن يُخرج بني أسد من حلف بني ذبيان^(٢)، فقال النابغة قصيدته التي مطلعها^(٣):

عَشِيْتُ مَنْزِلًا بِعُرَيْتَاتِ فَأَعْلَى الْجَزَعِ لِلْحَيِّ الْمُئِنِّ^(٤)

وذكر أسداً فقال:

إذا حاولتَ في أسدٍ فُجُورا فإنني لستُ مِنْكَ ولستَ مِنِّي
شَهِدْتُ لَهُمْ مَواطِنَ صادقاتِ أتيتُهُمُ بوَدِّ الصَّدرِ مِنِّي
وَهُمْ ساروا لِحُجْرٍ في حَميسِ وكانوا يومَ ذلكَ عِنْدَ ظَنِّي^(٥)
وَهُمْ زَحَفُوا لَغسانِ بِرَحْفِ رَحيبِ السَّرْبِ أرَعَنَ مُرَجَجِنَّ^(٦)
بِكلِّ مُجَرَّبٍ كَاللَّيْتِ يَسْمو على أوْصالِ ذِيالِ رِفْنِ^(٧)

(١) عُيَيْبَةُ: هو عُيَيْبَةُ بن حِصْنِ بن حُدَيْفَةَ الفَرَّازِيِّ. وكان أبوه حِصْنُ سِيدِ فَرَّازَةَ في عهد الحارث الأصغر، وقد أصيب حِصْنُ يومَ بني عُقَيْلٍ من عامر. ولِحِصْنِ قصيدةٌ ينصح فيها لفرّازة أن يُولِّوا عُيَيْبَةَ بعد موته. انظر القصيدة في أمالي المرتضى (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكاتب اللبناني، بيروت، ١٩٦٧)، ١: ٢٣٠. والمصون في الأدب لأبي أحمد الحسن بن عبدالله العسكري (مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢)،

وقد أدرك عُيَيْبَةُ الإسلام، وأسلم، ووصفه الرسول الكريم بأنه السيد المحقق.

(٢) ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ١٢٥.

(٣) نفسه، ص ١٢٥.

(٤) الحَيِّ الْمُئِنِّ: المقيم زمن الربيع.

(٥) حُجْرٌ: حُجْرُ بن الحارث الكِنْدِيِّ أبو امرئ القيس.

(٦) الجيش الأرعن: المضطرب لكثرتِه. والمُرَجَجِنُّ: الثقيل.

(٧) الرِفْنُ: الذِيالُ والمتبخرُ في بَطَر.

وَضُمِرِ كَالْقِدَاحِ مُسَوِّمَاتٍ عَلَيْهَا مَعْشَرٌ أَشْبَاهُ جِنَّ^(١)

فها هو ذا جَحْفَلُ أُسْدٍ زاحفاً لغسان، فهو المَغْيِرُ وغسان مُغَارٌّ عليها. وهذا يَتَّفِقُ مع ما قاله عبيد، وليس مع ما قاله عمرو بن شأس.

وها نحن أولاء نرى أن صورة جحفل أسد الجرّار تتكرّر عند النابغة الذبياني: فهو رَحْبٌ يملأ الطرق، أرعنٌ ثقيل، ورجاله كاللّيوث مجرّبون غير أغرار، يُشْبِهون الجِنَّ. والحياد ذِيَالَة ضوامر، ضمور القِدْح الصَّلِيب.

عَدِيّ وَفُرْص

ليس فيما كتبه نولدكه أو جواد علي أو غيرهما ممن اطّلعوا على كتابات المؤرخين غير العرب، ما يعين على تبيين حقيقة عَدِيّ وَفُرْص اللذين قتلتهما أسد يوم الفُرات، والإشارة التي أوردها جواد علي مستقاة من المصادر العربية^(٢).

وفي كلا الرجلين - إذا كان فُرْص رجلاً وليس جبلاً - كلام: فقد ذكر ابن الشجري أن عَدِيّاً هو عديّ بن مالك ابن أخت الحارث بن أبي شمّر^(٣). وفي شرح ديوان حسان "هو عديّ ابن أخت الغسانيّ. وكان فُرْص ملكاً من ملوك غسان، غزا عَدِيّ بني أسد فقتلوه"^(٤). وفي الأغاني "أغار ملك من ملوك غسان يقال له عديّ، وهو ابن أخت الحارث بن أبي شمّر الغساني على بني أسد، فلقبته بنو سعد ابن ثعلبة ... فقتلت بنو سعد عدياً ... فقالت فاختة بنت عدي:

(١) المَسَوِّمَات: المُعَلِّمَات اللواتي عليهم علامات يعرفن بها في الحروب.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣: ٤٣٦.

(٣) ابن الشجري، هبة الله بن علي، مختارات شعراء العرب (تحقيق علي محمد بجاوي، مكتبة دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٥)، ص ٣٢٦.

(٤) الديوان (تحقيق عبدالرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية، القاهرة، ؟)، ص ٢١٩.

والديوان (تحقيق وليد عرفات)، ٢: ١٧٢.

لعمرك ما خشيت على عدي
ولكني خشيت على عدي
رماح بني مقيدة الحمار
رماح الجنّ أو إياك حار

تعني الحارث بن أبي شمر خاله:

قتيل ما قتييل ابني حذار
بعيد الهمّ طلاع النجار^(١)

ففاختة لم تخش على عديّ رماح أهل الحرة^(٢) وهي تُقَيّد حمار الوحش فلا
تدّعه يسير من شدة وعورتها - ولكنها تخشى عليه من الطاعون - وهو في نظر
الجاهليين من وخز رماح الجنّ - أو تخشى عليه من الحارث نفسه.

وتشغّب على هذه الرواية للبيتين رواية أخرى لتغلب، ليس فيها اسم عديّ،
وإنما فيها اسم (أبي)، فقد روى تغلب البيتين:

لعمرك ما خشيت على أبيّ
ولكني خشيت على أبيّ
رماح بني مقيدة الحمار
رماح الجنّ أو إياك حار^(٣)

وتوافق رواية الثعالبي^(٤) رواية الأغاني، ويوافق الثيلي^(٥) تغلباً، وأخذ بالروايتين

(١) الأغاني، ١١: ١٨٩-١٩٠.

(٢) مقيدة الحمار في الأغاني امرأة من كنانة يقال لها تماضر وهي أم قاتلي عدي.

(٣) تغلب، أحمد بن يحيى، مجالس تغلب (تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف،
القاهرة، ١٩٦٠)، ٢: ٢٧٤.

(٤) الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل، ثمار القلوب في المضاف
والمنسوب (مطبعة الظاهر، القاهرة، ١٩٠٨)، ص ٥٣.

(٥) الثيلي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله، آكام المرجان في أحكام الجان (مطبعة السعادة،
القاهرة، ١٣٢٦هـ).

ابن منظور^(١).

وإذا كان هذا الكلام لم يَزِدْ عدياً إلا غموضاً، فإن الغموض الذي يحيط
بفُرْصٍ أشدّ. قال ابن الشَّجَرِي: "فُرْصٌ بن مالك من غسان، ويقال هو رجل من
بني كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَعَصَعَة، ويقال: هو من كِنْدَة"^(٢). وفي شرح
ديوان حسان بن ثابت "وكان فُرْصٌ ملكاً من ملوك غسان"^(٣). وقال ياقوت: "تُلُّ
بأرضِ غسان في شعر عبيد بن الأبرص"^(٤).

وإِخَالٌ أَنْ مَرَدَّ هَذَا الْخِلافِ الْبَيْتَانِ نَفْسَهُمَا اللَّذَانِ وَرَدَ فِيهِمَا اسْمُ فُرْصٍ. وَلَا
أَرَى عَلَيَّ تَثْرِيباً إِذَا أَعَدْتَ كِتَابَتَهُمَا، وَهَمَا:

نَحْوُ فُرْصٍ يَوْمَ جَاءَتْ حَوْلَهُ الْخَيْلُ قُبَّاً عَنِ يَمِينِ وَشِمَالِ^(٥)

ثم:

وَنَحْنُ قَتَلْنَا مُرَّةَ الْخَيْرِ مِنْكُمْ وَفُرْصاً قَتَلْنَا كَانَ مِمَّنْ أَوْلَيْتُكُمْ^(٦)

أما ياقوت الذي عدّ فُرْصاً جبلاً فيظهر أنه التفت إلى البيت الأول دون
الثاني، وهو في غزو أسد لغسان، وجولان الخيل حول جبل أقرب من جولانها حول
رَجُلٍ. ولو كان ياقوت قد التفت إلى البيت الثاني لا طرَحَ هذا الاحتمال، فَقَتَلَ فُرْصٌ
يَمِيطُهُ لَا مَحَالَةَ.

(١) انظر لسان العرب، المواد: رمح، وحمير، وقيد. وقد جاءت (أبي) في مادتي: رمح وحمير،
وجاءت (عدي) في مادة قيد.

(٢) مختارات شعراء العرب، ص ٣٢٧.

(٣) الديوان (تحقيق وليد عرفات)، ٢: ١٧٢.

(٤) معجم البلدان، مادة قرص.

(٥) ديوان عبيد بن الأبرص، ص ٩٤.

(٦) نفسه، ص ١١٧.

وأما من قال: فُرْصٌ من غسان، فاستند إلى أن أسداً قَتَلْتُ فُرْصاً، وأن الخيل جالت حوله بعد انتجاعها الحارث الأعرج.

وأما من قال: قرص من عامر بن صَعَصَعَة، فاستند إلى ما بين أسد و عامر من عداء، وفي القصيدة التي منها البيت الثاني افتخار بانتصار أسد على عامر.

والقول: فُرْصٌ من كِنْدَة، موافق طَباقاً للبيت الثاني، فالقصيدة في خطاب امرئ القيس، والفخر عليه بفعالِ قبيلته وانتصاراتها على كِنْدَة و عامر، وقتلها حُجْراً أبا امرئ القيس، وعمراً جَدَّه (؟) وعمّيه الأجدلين ومالكاً. وفخر عبيد بقتل مُرَّة الخير، وجعله من كندة (منكم) وعطف فُرْصٌ عليه يَسْتَتَبِعُ أن يكون فُرْصٌ من كِنْدَة.

ولكن البيت الأول يزيل هذا القول.

فأقرب ما يتحصّل من هذه المناقشة أن يكون فُرْصٌ من غسان. ولكن اسمه يظل غريباً على رغم موافقته لسان العرب. ففيه إشمام من عُجْمَة تجعلني أميل إلى جعله محرّفاً من (دقص) Dux، وتعني رئيساً أو قائداً عند البيزنطيين^(١).

بكاء عبيد بن الأبرص قومه.

وإذا كان عبيد وعمرو بن شأس قد فخرًا بانتصار أسد على غسان، فإن في شعر عبيد ما يُظنُّ أنه دالٌّ على ما ابتليت به أسد من غسان. وقد لاحظ حسين نصار أن عبيداً يبكي قومه بني سَعْدِ بن ثَعْلَبَة، الذين أبادتهم الحروب والمنايا "في حروبهم مع الغساسنة، فيما يظهر من شروح الديوان"^(٢) في قوله:

ديارُ بني سَعْدِ بن ثَعْلَبَة الألى أذاعَ بِهِمْ دَهْرٌ على الناسِ رائِبُ

(١) نولدكه، أمراء غسان، ص ١٨.

(٢) الديوان، ص ٨.

فأذهبهم ما أذهب الناس قبلهم ضراس الحروب والمنايا العواقب

أقول: يمكن أن يدلّ بكاء عبيد قومه الذين أذهبهم ضراس الحروب والمنايا التوالي، على أن غسان أدمت أسداً، ولكن هذا الإدماء لم يَلْحَقْها من غسان وحدها، بل منها ومن غيرها ككندة وعامر وتميم وعَبَس، حتى باتت أسد دريئة تصيبها السهام من كل صَوْب، ولكنها احتملت ذلك بإباء واقتدار.

ب- في عهد الحارث الأعرج وولديه

لا نجد - أو لم أجد - بعد الحارث الأعرج شعراً لأسد فيه ذكر لغسان، وبشر ابن أبي خازم الأسدي الذي كنت أمل أن أجد في ديوانه شعراً عن علاقة أسد بغسان، يخلو ولو من إلماح إليهم. فقد تغنى بانتصار أسد وأحلافها من عَطْفان وطيب وضبّة على بني عامر وتميم يومي النَّسار والجفار، وسكت عن صراع أسد مع غسان، فلم يذكرها بخير أو شرّ.

* * *

وإذا كانت أيام أسد مع غسان في عهد الحارث الأصغر وولديه: النعمان وعمرو لم تظهر في شعر شعراء أسد، فإنها ظهرت في شعر النابغة الذبياني. ويظهر من ذلك الشعر أن أسداً أصيبت في غسان، حتى صيرها النابغة عبّرة لذبيان، يصيبها ما أصاب أسداً إذا هي لم تُدْعِنْ لغسان. ويتبدى هذا من قصيدته التي مطلعها. (١)

إني كأني لدى النعمان خبّره بعض الأود حديثاً غير مكذوب (٢)

(١) ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٤٩.

(٢) الأود: جمع ودّ، وهو ذو الود.

ومن خبر هذه القصيدة أن النابغة "ركب إلى الحارث بن أبي شمر"^(١)، ليكلّمه في أسارى بني أسد وبني فزارة، فأعطاه إياهم وأكرمه. وقد كان حصنُ بن حُدَيْفَةَ الْفَزَارِيِّ أصاب في غسان قبل ذلك بعام، فقال الحارث للنابغة: ما دسّ بني أسد إلا حصن، وقد بلغني أنه لا يزال يجمع عليه الجموع ليصير على أرضنا. وقد كان النعمان بن الحارث شديداً غليظاً، فدخل عليه النابغة، فقال له النعمان: إن حصناً عظيماً الذنب إلينا وإلى الملك، فقال له النابغة: إن الذي بلغك باطل"^(٢).

ويظهر أن الحملة التي قام بها الحارث أصابت بني أسد على (الأمرار)^(٣)، فقتل وأسر وسبى، قال النابغة:

ولا تُلاقِي كما لاقَتْ بنو أسدٍ	فقد أصابَتْهُمُ بشوْبوبِ
لم يبقَ غيرُ طريدٍ غيرِ مُنْقَلَبِ	وموثقٍ في حبالِ القِدْرِ مَسْلُوبِ
أو حُرَّةٍ كمهاةِ الرَّمْلِ قد كبلت	فوق المعاصم منها والعراقيبِ
تدعو فُعِيناً وقد عض الحديدُ بها	عَضَّ النَّقَابِ على صُمِّ الأنايبِ

والسبايا يدعون فُعِيناً، وهم "حيّ من أسد"^(٤)، ولكن لا معين لهم منهم.

-
- (١) لقد اتضح من البحث أنه الحارث الأصغر بعد أن تبينا الحارث بن أبي شمر.
- (٢) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق أبو الفضل إبراهيم)، ص ٤٥. والديوان (تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠)، ص ١٤. وفي ديوانه (جمع محمد بن عاشور، الشركة التونسية، تونس، ١٩٦٧)، ص ٥٠ زيادة مفيدة.
- (٣) الأمرار: قال ياقوت: اسم مياه بالبادية، وقيل مياه لبني فزارة وقيل: هي عُراعر وكُتَيْبٌ يدعيان الأمرار لمرارة مائهما (معجم البلدان، مادة أمرار). وعُراعر تحدّد مكان الأمرار، فهي تقع في الطريق بين المدينة وتيماء (شمال غرب الجزيرة، ص ٤٠١).
- (٤) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، مادة بني قعين.

(٤)

بين غسان وذبيان
أ- النابغة الذبياني

لقد كفاني النابغة الذبياني مؤونة التقير عن غيره في استجلاء علاقة غسان
بذبيان: فالنابغة ابن قبيلته، وابن بجدتها، وذو المكانة فيها، وهو وثيق الصلة
بالغساسنة والمناذرة معاً على ما بينهما من خصام.

وليست طلبتي الآن أن أتحدث عن النابغة، وقدرته الفائقة على ولوج الموالمج
الصعاب، ومصانعة المتخاصمين، فحسبنا تلك القصيدة التي تصحّ لممدح
الغساسنة والمناذرة، وهي التي مطلعها^(١):

أَتَارِكَةٌ تَدُلُّهَا قَطَامٌ وَضَنَاءٌ بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ

والتي اختلف الرواة فيمن قيلت: فهي في عمرو بن هند عند الأعمش
الشَّنْتَمَرِي،^(٢) وهي في المنذر بن المنذر عند ابن الكلبي،^(٣) وهي في عمرو بن
الحارث الغساني عند أبي عبيدة.^(٤) وكأنها بالنابغة قد أرادها أن تكون على هذا
النحو المحير؛ حتى يحافظ على علاقته الطبيعية بالمناذرة والغساسنة معاً.

* * *

وعلى الرغم أن الأصمعي قد دفع أن النابغة أدرك عمرو بن هند "لأن عمراً
كان ملكاً قبل المنذر أبي النعمان، وملك عشر سنين، وملك النعمان ابنه ثمانياً

(١) ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ١٣٠.

(٢) أشعار الشعراء الستة الجاهليين (دار الآفاق، بيروت، ١٩٨١)، ص ١٨.

(٣) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد أبو الفضل)، ص ١٣٠.

(٤) نفسه، ص ١٣٠. وانظر مناقشة الروايات في أمراء غسان، ص ٣٩-٤٠.

وثلاثين سنة، والنابغة مات وعمره خمسون سنة، ولا يجوز أن يكون مدح عمرو بن هند، وهو - أي النابغة - سنتين".^(١)

أقول: على الرغم من ذلك، فإن في شعر النابغة مدحاً للحارث الأعرج الغساني الذي كان معاصراً للمنذر بن ماء السماء، قال:^(٢)

واللهِ واللّهِ لِنِعْمِ الْفَتَى الـ
أعرجُ لا النُّكْسُ ولا الخاملُ

والمنذر بن ماء السماء هو أبو عمرو بن هند.

وفي ديوان النابغة ثلاث عشرة^(٣) قصيدة ومقطوعة في غسان: واحدة^(٤) في الحارث بن أبي شمر، وواحدة^(٥) في الحارث الأصغر ابن حُجر (أو عمرو) بن النعمان بن الحارث الأعرج، وسبع^(٦) في النعمان بن الحارث الأصغر، وأربع في عمرو بن الحارث الأصغر.

ب- سبب الخلاف بين غسان وذبيان

ثمة منطقة كانت مصدر خلاف بين غسان وبين ذبيان وأسد. تلك المنطقة تقع بين الجَناب وعالج، وقد ظهرت هذه المنطقة بجلاء في شعر النابغة الذبياني، حيث قال ينصح قومه:^(٧)

(١) ديوان النابغة الذبياني (جمع محمد بن عاشور)، ص ١١٤.

(٢) نفسه (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ١٦٧.

(٣) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٤٠، ٤٩، ٧٥، ٩٨، ١٠٧،

١١٥، ١٣٠، ١٤١، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٨٣، ٢٠٦.

(٤) نفسه، ص ١٦٧.

(٥) نفسه، ص ٤٩، ٧٥، ٩٨، ١٠٧، ١١٥، ١٦٥، ١٦٦.

(٦) نفسه، ص ٤٠، ١٣٠، ١٤١، ١٨٣.

(٧) نفسه، ص ١٤٤.

وَحَلُّوا لَهُ بَيْنَ الْجَنَابِ وَعَالِجٍ فِرَاقَ الْخَلِيطِ ذِي الْأَذَاةِ الْمُزَايِلِ

أما الجناب فقد حَدَّدها الشيخ حمد الجاسر "بالأرض الفسيحة الواسعة الواقعة في عِراضِ حَيْبَرٍ من الشرق إلى تَيْمَاء، حيث يحدّها جبل حَدَد - هو جبل تَيْمَاء (عُنَيْم) - ثم تمتدّ هذه الأرض نحو الشمال حتى تتصل بوادي عَزْدَة الذي يقع أعلى وادي القُليبية، القرية التي يمرّ بها المُتَّجه إلى تبوك، وهذه الأرض يطلق عليها الآن (الجَهْرَاء) أرض ذات أودية ومستنقعات واسعة".^(١)

وأما عَالِج فتسمى اليوم النفوذ، وهي الصحراء الممتدة من شمال جبل أجأ أحد جبلي طيئ (شمر اليوم) إلى دُومة الجَنْدَل (الجَوْف اليوم)، وهي صحراء لا تخطئها العين في أية مصوِّرة جغرافية لجزيرة العرب.

فهذه الأرض الشاسعة كانت مطمَحَ غسان ومطمح قبائل الأحاليف، وخاصة ذبيان وأسدًا. فقامت غسان في عهد الحارث الأصغر بإحماء الحمى فيها، كحمى النعمان بن الحارث الأصغر في ذي أفر، فلم تأبه ذبيان وأسد لهذه الحمى فتربعت، فهاجمها النعمان وأسر منها، فقال النابغة قصيدته التي مطلعها:^(٢)

لَقَدْ نَهَيْتُ بَنِي ذُبْيَانَ عَنْ أَفْرِ وَعَنْ تَرَبُّعِهِمْ فِي كُلِّ أَصْفَارٍ^(٣)

(١) حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة (دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٠)، ص ٥٠٠-٥٠١.

(٢) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ص ٧٥.

(٣) ذو أفر وأقر موضعان متقاربان كما يفهم من معجم البلدان (انظر مادتي أفر وأقر). وفيه أن ذا أفر واد لبني مُرّة، وهو واد تَجَل - أي واسع - مملوء حَمْضاً. وهو قريب من أرض الشربة. والشربة شرقي وادي الرمة المشهورة (انظر شمال غرب الجزيرة، ٥٥٩-٥٦٠).

وعاودت ذبيان ترتبها، فأغار عليها عمرو بن الحارث الأصغر، فقال النابغة قصيدته التي مطلعها: (١)

أهاجِكَ من أسماء رَسْمِ المنازلِ برَوْضَةِ نُعْمِي فذاتِ الأجاوِلِ
ومما يُستغرب أن يكون النابغة مع غسان ضد قومه عندما طلب أن تخلي
ذبيان تلك الأرض الشاسعة لعمرو بن الحارث الأصغر.

ج- في عهد الحارث الأصغر

لقد تحدّثتُ عن الحملة التي قام بها النعمان بن الحارث الأصغر في عهد أبيه على أسد وذيبيان في أثناء الحديث عن أسد. وقد صورّ النابغة هذه الحملة عندما خرجت خيل الغارة الضّوامر من الجَوْلانِ إِيّان القَيْظِ، عليها فرسان أباة من شيب وشُبّان قد درّبوا على الحروب، فما أصابت الخيل من النوم إلا غرّاراً حتى بلغت أهل المِلْح وقد أخذ منها الكلالُ كلَّ مأخذ، يتصبب منها العرق كانبصاب الماء من القَرَبِ الوُفْرِ.

قال: (٢)

قَادَ الجِيادَ مِنَ الجَوْلانِ قانِظَةً من بَيْنِ مُنْعَلَةٍ تُرْجِي ومجنوبٍ (٣)
حتى استغائتُ بأرضِ المِلْحِ ما طَمِعَتُ في مَنزِلِ طَعْمِ نَوْمٍ غيرِ تَأويِبٍ (٤)

(١) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ص ١٤١.

(٢) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٥٠.

(٣) ذكر فيليب حتّي أن عاصمة آل جفنة كانت في البداية معسكراً متنقلاً، ثم صارت الجابية في الجَوْلانِ عاصمة لهم، وجلّق الواقعة جنوبي حُوران في بعض الأحيان. انظر:

History of Syrai (Macmillan & co-LTD, London, 1959), p.401.

وذفن النعمان بالجَوْلانِ بين بُصْرَى وجاسِم. انظر ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ١٢١.

وتُرْجِي: تساق. والفَرَسِ المَجْنُوبِ: المَقُودِ.

(٤) أرض الملح كثيرة في شمال الجزيرة حتى سميت قرية باسم قُرَيّاتِ المِلْحِ. وقد ورد يوم باسم (يوم الملح) في شعر زيد الخيل الطائي. انظر ديوان زيد الخيل الطائي (صنعة نوري حمودي القيسي، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٣٧، ص ٣٧).

والتأويِب: السير جميع النهار، ولعلها هنا الشرب عند القائلة.

يُنْضَحْنَ نَضْحَ الْمَرَادِ الْوُفْرِ أَتَاقَهَا شَدُّ الرِّوَاةِ بِمَاءِ غَيْرِ مَشْرُوبٍ^(١)
قُبُّ الْأَيَاطِلِ تَزْدِي فِي أَعْنَتِهَا كَالخَاضِبَاتِ مِنَ الرُّعْرِ الظَّنَابِيِّبِ^(٢)
شُعْتُ عَلَيْهَا مَسَاعِيرُ لَحْرِيهِمْ شُمُّ العَرَانِينِ مِنْ مُرْدٍ وَمِنْ شَيْبِ^(٣)

وقد أصابت هذه الحملة أسداً ولم تُصب فزارة من ذبيان، ولذلك ينصح النابغة
لفزارة أن تفرّ إلى الجبال والحرار، كيلا تلاقى ما لاقته أسد:

فإذُ وُقِيتِ بِحَمْدِ اللّهِ شَرَّتْهَا فأنجِي فزارة إلى الأطوادِ فاللؤلؤ^(٤)

د- في عهد النعمان بن الحارث الأصغر

يبدو أن النعمان لم يقم في عهد تولّيه إمارة غسان بعد مقتل^(٥) أبيه الحارث الأصغر بقيادة الغارة على ذبيان عندما تربعت أقرأ، وإنما أوكل أمر قيادة الغارة إلى ابن الجلاح الكلبي فقد قال ياقوت: "فَبَعَثَ النعمان بن الحارث إليهم جيشاً وعليه ابن الجلاح الكلبي، فأغار عليهم بذي أفر، وسبى ستين أسيراً وأهداهم إلى قيصر الروم.

(١) المراد: جمع المزادة، وهي القرية. والوُفر: جمع الوُفراء، وهي الملقى. وأتأق: ملأ.

(٢) قُبُّ الأياطل: ضُمُّ البُطون. وتروى: تَرْجُمُ الأرض بحوافرها في عدوها. والخاضبات من الرُّعْرِ الظَّنَابِيِّب: كناية عن النعام. والخاضبات: مُحَمَّرَة السوق، وتحمر عادة سيقان الظلمان في وقت الخِصَاب. والرُّعْر: قِصَار الرِّيش. والظَّنَابِيِّب: عظام السُّوق.

(٣) شُمُّ العَرَانِين، كناية عن الإباء والشموخ. والعَرَانِينُ الأَشَمُّ: الأنف الذي عُلَّتْ أَرْنَبَتُهُ.

(٤) اللُّوب: جمع اللَّابَة، وهي الحَرَّة.

(٥) يستفاد هذا من قصيدة النابغة التي مطلعها:

إن يسلم الحارث الحرابُ تعترفوا جيشاً مُغيراً على ثهلانٍ أو حطراً

الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٢٠٦.

وقصيدة النابغة تحذير لذبيان من غارة عليهم، فقد اجتمعت عليهم غسان
وكلب ورهط رنعي وحجار من قضاة،^(١) وقد تمنى النابغة فيها ألا يرى نساء
ذبيان سبايا مردفات وراء الأجراء والأتباع، يذرفن العبرات، وينظرن شزراً إلى
السبابة، وعلى وجوههن امتعاض بين من إنكار الرق وهن الحرائر:

لا أعرفن زرباً حوراً مدامعها كأن أبكارها نجاج دوار^(٢)
ينظرن شزراً إلى من جاء عن عرض بأوجه منكرات الرق أحرار
خلف العضاريط لا يوقين فاحشة مستمسكات بأقتاب وأكوار^(٣)
يذرين دمعاً على الأشفار منحدرًا ياملن رحلة حصن وابن سيار

لقد نهى ذبيان عن ترثع أقر، فعصته. وها هو ذا النعمان مقبل بجمع جرار لا
كفاء لذبيان به، فما له هو نفسه إلا أن يلجأ إلى حرّة النار^(٤)، أو أن يضع بيته في
حرّة سوداء - وحجارة الجرار سود- لا يقتدر المغيرون أن يبلغوها:

إما عصيت فإني غير منقلبت مني اللصاب فجنباً حرّة النار^(٥)
أو أضع البيت في سوداء مظلمة تُفئد العير لا يسري بها الساري^(٦)
تدافع الناس عنا حين نركبها من المظالم تدعى أم صبار^(٧)

(١) نفسه، ص ٧٧.

(٢) الرئيب: القطيع من بقر الوحش، وقد استعيرت للنساء.

(٣) العضاريط: جمع العضروط، وهو الأجير والتابع.

(٤) حرّة النار: في الجنوب الشرقي من المدينة. انظر الخريطة في:

Doughty, Charles M. Travels in Arabia Desarta (Jonathan cape London), vol. 1.

(٥) اللصاب: جمع اللصب، وهو الشعب الصغير في الجبل أو مضييق الوادي.

(٦) العير: حمار الوحش. والحرّة تقيده من كثرة أحجارها فلا تدعه يسير.

(٧) أم صبار هي حرّة النار.

* * *

في شعر النابغة ما يدلّ على أن ابن الجُلاح أصاب ذُبيانَ في غزاته، حيث
أقبل بجيش كثيف، فأصاب ذبيان قسراً فأضحوا عبيداً له. وأنعم عليهم، ولم يك
بخيلاً.

قال: (١)

صَبَحْتَ بنِي ذُبْيَانَ مِنْهُ بَغَارَةٌ جَرَتْ لَكَ مِنْهَا السَّانِحَاتُ بِأَسْعَدِ (٢)
أَصَابَهُمْ قَسْرًا فَأُضْحُوا عِبَادَهُ فَجَلَّلَهَا نُعْمَى وَلَمْ يَتَشَدَّدْ (٣)

هـ- في عهد عمرو بن الحارث الأصغر

يذكر شراح ديوان النابغة أنه قال قصيدته التي مطلعها (٤):

أَهَاجِكَ مِنْ أَسْمَاءِ رَسْمِ الْمَنَازِلِ بَرَوْضَةَ نُعْمَى فِدَاتِ الْأَجَاوِلِ

(١) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٢١٢.

(٢) السانحات من الطيور والظباء ما ذهب من مياسر السائرين إلى ميامنهم وهي فأل حسن عند بعض العرب (ومنهم ذبيان)، ومنهم من يتفاعل بالبارح وهو الذي يولي المياسر.

(٣) عباده: عبيده. يتشدد: يبخل.

(٤) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ١٤١، والديوان (جمع محمد الطاهر بن

عاشور) ص ١٩٥.

في وقعة عمرو بن الحارث الأصغر العَسَاني ببني مُرّة بن عَوْفِ بن سعد بن
ذُبَيان". (١)

ولكن القصيدة لا تتحدث عن وقعة قد تمت، وإنما تتحدث عن غزوة متوقعة
سيقوم بها عمرو بن الحارث الأصغر رداً على تربع مُرّة روضة نُعمي وذات
الأجاول في المنطقة الواقعة بين الجَناب وعالج، وهي المنطقة التي ذكرت أنها
سبب الصراع بين غسان وذيبيان.

ويُظهر النابغة فَرعه من تلك الغزاة، فجعله فوق فَرعِ وَعِلٍ من وعول جبل ذي
المطارة:

وقَدْ خِفْتُ حتى ما تَزِيدُ مَخَافَتِي على وَعِلٍ من ذي المَطارة عَاقِلِ

ويُظهر عَمراً يقودُ جَحْفَلاً رُبِعياً كأنه حَرّة ذات الحجارة السّود، وتبدو الخيل قد
آدها الجري من بُعد الشُّقّة، فنحُلُ عودُها، واصفراً نُخاع عظامها ورقاً، وبَرى
الصَّوآن حوافرِها، فبدت الخيل - على نحو لها وبري حوافرها - لطافاً كالقنا
الدّوابل:

مَخَافَةٌ عمرو أن تكونَ جِبَادُهُ يُقَدِّنَ إلينا بينَ حافٍ وناعِلِ (٢)
إذا استعجلوها عن سَجِيّة مثَلها تبلَّغُ في أعناقها بالجَافِلِ (٣)
شَوازِبُ كالأجلامِ قد آلَ رِمُها سَمَاحِقَ سُفراً في تَلِيلِ وفائِلِ (٤)

(١) انظر الديوان بالتحقيق، ص ١٤١، ١٩٤.

(٢) الحافي: كناية عن الإبل، ولو أنهم كانوا يلقون أخفافها بالخِدام من الجلد. والناعل: كناية عن الخيل.

(٣) الجحافل: جمع الجحفة، وهي بمنزلة الشفة من الإنسان.

(٤) الشوازب: الضوامر. والأجلام: جمع الجلم، وهو المقص. والرّم: بقية المخ. والسماحيق:

جمع السمحاق، وهو الجلدة أو القشرة الرقيقة فوق عظم الرأس.

والتليل: العنق. والفائل: اللحم الذي على نُقرة الورك.

بَرَى وَقَعُ الصَّوَانِ حَدَّ سُورِهَا فَهِنَّ لَطَافٌ كَالصَّعَادِ الذَّوَابِلِ (١)

وتظهر صورة للخيل كالتي نراها في شعر الطَّفِيلِ الغَنَوِيِّ حيث نرى الخيل تطرح أولادها فتبدو أسلاؤها كالوَصَائِلِ الحُمْرِ، وتأتي الطير فتشبع من أولاد الخيل السُّخْلِ:

وَيَقْذِفْنَ بِالْأَوْلَادِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ تَشْحَطُ فِي أَسْلَانِهَا كَالْوَصَائِلِ (٢)
تَرَى عَافِيَاتِ الطَّيْرِ قَدْ وَثِقَتْ لَهَا بِشِبَعٍ مِنَ السُّخْلِ الْعِتَاقِ الْأَكَائِلِ (٣)

وترى الخيل قد جُنِبَتْ مع الإبل - أي فُرِنت لها - حيث كانوا في الغارة الشَّحُوطِ يركبون الإبل، ويقودون الخيل، إبقاءً عليها ليكونَ لها قوة وجلد عند القتال والغارة. ويحملون الإبل المَراجِلَ التي يطبخون فيها، ويحملونها الدروع. وقد جعل النابغة دروع غسان سابعةً لينةً، قد حُفِظَتْ خَيْرَ حِفْظٍ، ووُقِيَتْ من الصدا بِدُرْدِيّ الزيت، ومن التلف بحشوها بِكَرَّة:

مُقَرَّرَةٌ بِالْعَيْسِ وَالْأُدْمِ كَالْقَنَّا عَلَيْهَا الْخُبُورُ مُحَقَّبَاتُ الْمَراجِلِ (٤)
وَكُلُّ صَمُوتٍ نَثْلَةٌ تُبْعِيَّةٌ وَنَسَجِ سُلَيْمٍ كُلِّ قَضَاءِ ذَائِلِ (٥)
عُلَيْنَ بِكِدْيُونٍ وَأَبْطَنَ كَرَّةً فَهِنَّ وَضَاءٌ صَافِيَاتُ الْغَلَائِلِ (٦)

-
- (١) النَّسُورُ: جمع النَّسْر، وهو ما ارتفع في باطن حافر الفرس من أعلاه. والصَّعَاد: جمع الصَّعْدَة، وهي قناة الرَّمح.
- (٢) تَشْحَطُ: تضطرب. والأسلاء: جمع السُّلَى، وهو الغشاء الرقيق الذي يحيط بالجنين ويخرُجُ معه من بطن أمه. والوَصَائِلُ: ثياب حُمْر فيها خطوط خضر.
- (٣) السُّخْلُ: كل شيء لم يُتَمِّمْ، وجمعها سُخْلٌ وَسُخَالٌ (القاموس المحيط للفيروز آبادي، محمد ابن يعقوب، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢ - مادة سخل) وقد جعل النابغة (السُّخْل) للجمع. والأكائل: جمع الأَكِيلَة، وهي أَكِيلَة السُّبُع التي يأكلها إذا افترسها.
- (٤) الْخُبُورُ: جمع الخُبْر، وهي المَزَادَة وَمُحَقَّبَاتُ الْمَراجِلِ: أي في حقائبها المَراجِل التي يطبخون فيها.
- (٥) الصَّمُوتُ: الدرع الثقيلة. والنَثْلَةُ: الواسعة. والتَّبْعِيَّةُ: نسبة إلى تبابعة اليمين وسُلَيْمٍ: سليمان، وأراد بسليمان داود، لأن داود أول من عمل الدروع في اعتقاد العرب. والقضاء: التي فيها مسامير تشبه القضيض وهي الحصى الصغار، وذلك أمتن للدرع. والذائل: الطويلة السابغة.
- (٦) الكِدْيُونُ: وَرْدِيّ الزيت، وهو ما رسب في قاع إناء الزيت. والكَّرَة: البَعْر والرَّمَاد.

ولا بدّ لي من التلبُّث هَوْناً عند جيش الغارة، وفيه ثرى الخيلُ والإبل، فَنُجِنْبُ
الإبل بالخيّل، وتَحْمِلُ الإبلُ الرجالَ وشِكَّةَ الحربِ وأدواتِ الطعامِ، وتكونُ الخيلُ
خاليةً غيرَ مُمتطاة. فإذا حانت ساعةُ المعركة خُلِّيتِ الإبلُ وامْتُطِبتِ الجيادُ، فهي
أداةُ الحربِ الأساسية.

وسبيلُ الجاهليين في حفظِ الدُّروعِ من الصّدأ والتَّلَفِ - كما أشار النابغة -
كانت بطلانها بَدْرَدِيّ الزَّيْتِ وحَشْوُها بِالرَّمَادِ والبَعْرِ. وهذه إشارةٌ مهمةٌ في صَوْنِ
آلةٍ من آلاتِ الحربِ.

و- ملاحظة من أبي عبيدة

قال أبو عبيدة: "لم أسمع من تعنيفِ النابغة لبني أسدٍ إلا القصيدة البائية^(١)
التي قالها في مدحِ الحارثِ بنِ أبي شَمِرٍ، حين ركب إليه ليكلّمه في أسرى بني
أسد وبني قَزَازة، فأعطاه إياهم وأكرمه، وقد خرج كلامه في الحُسْنِ والاستواءِ حتى
كانه يصف ويذكر دياراً بعيدة"^(٢).

والنابغة لم يذكر أسداً فقط - وهم خلفاء ذبيان - كأنه ذَكَرَ دياراً بعيدة وإنما
ذكر قبيلته ذبيان أيضاً كأنه يذكر قوماً غرباء، وكأنه شاعر غسانيّ، يتهدّد ذبيان
بقوة غسان، فيهول في قوتها، ويرسم صورة مفزعة لها، ليخوّف بها قبيلته ذبيان،
ويصدّع صفاتها، ويوهن من عزائمها.

وموقف النابغة من قومه لا أكاد أجد له نظيراً في الشعر الجاهلي!

أما التهويل في قوة غسان، فتراها عندما يمدح النعمان بن الحارث، فيصوّره
مُغَيَّراً على قومه، قائداً الجياد من الجولان، عليها مَسَاعِيرُ حربٍ من شيب غسان

(١) أي التي مطلعها:

إني كأني لدى النعمان خيره بعض الأود حديثاً غير مكذوب

(٢) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٥٤ (الحاشية).

ومُرْدِهِمْ، حتَّى بَلَغْنَ أَهْلَ الْمَلْحِ، وَكُنَّ يَنْضَحْنَ بِالْعَرَقِ كَمَا يَنْتَبِزِلُ الْمَاءُ مِنَ الرَّوَايَا
الْوُفْرِ.

وأما رسم صورة مفزعة لهم، فتراها عندما يمدح عمر بن الحارث الأصغر،
فيخوّف بها قومه، ويصوّره ليثاً ضارياً مُنْقَبِضاً مُسْتَوْفِزاً لِفِرَاسِ قَوْمِهِ، فيسوق
نساءهم سبايا، ويُردفهنّ خلفَ أتباعه وأجرائه، ولا يوقّين فاحشة، فيذرين الدّمع،
وعلى وجوههن سيماء إنكار الرّق.

وتحذير النابغة سلبّي موهن ناكص، فما نرى - أو لم أر - شاعراً جاهلياً
يدعو قومه إلى إخلاء منطقة واسعة لخصومهم، وإلى الفرار إلى الحرار، والتّجاء
في الجبال.

* * *

وقد جرّ موقف النابغة عليه خصومه بعض سادات قبيلته، ومنهم حصن بن
حُدَيْفَةَ الْفَزَارِيِّ الَّذِي اتَّهَمَهُ النِّعْمَانُ بِجَمْعِ الْجُمُوعِ لِمَحَارِبَةِ غَسَّانَ، وَبَدْرَ بِنِ حُدَارَ،
وَحُزَيْمَ بِنِ سَيَّارَ، وَزَيَّانَ بِنِ سَيَّارَ صَهْرَ النَّابِغَةِ.^(١)

(٥)

بين غسان وطبيّ

قال ابن سعيد في طبيّ: "وهي الرّحى العظيمة التي نزلت حين خرجت من
اليمن بعد سيل العرم على بني أسد، فحاربتها إلى أن اصطلحا على الجوار، فحلّت
طبيّ بجبلي أجا وسلمى من نجد الحجاز إلى اليوم."^(٢)

(١) انظر ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٧٩-٨١.

(٢) نشوة الطرب في تاريخ العرب، ١: ٢٢٢.

وقال اليعقوبي: "وكانت أسد منتشرة من لدن قصور الحيرة إلى تهامة، وكانت لطبيء مخالفة متفقة معها، ودارهما تكاد أن تكون واحدة".^(١) وكانت طييء تقيم علاقة متعادلة مع المناذرة وغانم معاً، فبينها وبين المناذرة عقد ألا تغزو إحداهما الأخرى،^(٢) وبينهما وبين غسان إيلاف. فلما ذر الخلاف بين قبيلتي طييء: العوث وجديلة، قام الحارث بن جبلة الغساني بالإصلاح بينهما - قال ابن الأخير عن يوم اليماميم: "وهو بين قبائل طييء بعضها في بعض. وكان سبب ذلك أن الحارث بن جبلة الغساني كان قد أصلح بين طييء، فلما هلك عادت عادت إلى حربها"^(٣).

فأن يقوم الحارث بن جبلة بالإصلاح بين أحياء طييء إشارة دالة على مكانة غسان والحارث عند الطائيين.

وثمة إشارة أخرى يمكن الاستدلال بها على مكانة غسان، وردت في شعر قيس بن جرزة الملقب بعارق الطائي، قال:^(٤)

والله لو كان ابن جفنة جاركُم
وسلاسلًا يبرقن في أعناقكم
ولكان عادته على جيرانه
ما إن كساكم غصاة وهوانا
وإذن لقطع تلکم الأقرانا
ذهباً ورِيْطاً رادعا وجفانا^(٥)

(١) تاريخ اليعقوبي، ١: ٢٦٣.

(٢) الحماسة، شرح المرزوقي، ص ١٤٦٦.

ولكن هذا العقد تعرض للنقض عندما قام عمرو بن هند بغزو طييء، ويمكن تتبع أثر هذا الغزو في شعر عارق الطائي في نشوة الطرب، ١: ٢٣٦-٢٣٧.

(٣) الكامل في التاريخ (الطبعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٨هـ)، ١: ٣٨٨.

(٤) أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، النقائض (تحقيق بيفار، بريل، ليدت، ١٩٠٧)، ٢: ١٠٨٣.

(٥) الرِيْط: جمع الرِيْطَة، وهي الثوب اللين الرقيق - والرَادِع: المَرْدَع، المُلَمَّع بالزعفران أو بالطيب. والجِفَان: جمع الجَفْنَة، وهي القَصْعَة.

ومناسبة هذه الأبيات - كما ذكر ابن الكلبي - أن "عمرو بن هند غزا اليمامة، فرجع مُنْفِضاً، فمرّ بطي، فقال له زُرارة بن عُدَس^(١): أصب من هذا الحي شيئاً. قال: ويلك! إن لهم عَقْدًا. قال: وإن كان، فإنك لم تكتب العقد لهم كُلِّهم، فلم يَزَلْ به حتى أصاب نسوة وأذوادا^(٢)، فقال قيس: (٣)

أكلُ حَمِيسٍ أَخْطَأَ العُنْمَ مَرَّةً وصادفَ حَيًّا دائماً هو سائِقُهُ
فأقسمتُ لا أحتلُّ إلا بصَهْوَةٍ حرامٌ عليك رَمْلُهُ وشَقَائِقُهُ^(٤)
فأقسمتُ جَهْدًا بالمنازلِ من مَنِي وما ضمَّ من بطحائهنَّ دَرادِقُهُ^(٥)
لئن لم تغيّرَ بعضَ ما قد صنَعْتُم لأننحِينُ للعَظْمِ الذي أنا عارقُهُ

وما أروم أن أتليث عند عارق، فشعره في هذه المناسبة وفّر، وهو في علاقة طيء بالمناذرة أدخل. وما وقفت عنده إلا للمقابلة التي عقدها عارق بين عمرو بن هند وابن جفنة الحارث بن جبلة: فلو كان الحارث جارا لطيء لما أذاقها الهوان ولكان قد عادهم بالمال والكساء والطعام.

* * *

وعلى الرغم من دخول طيء حلف أسد وذبيان، فإن علاقتها بغسان والمناذرة قد ظلّت متوازنة. وقمينٌ ألا يعزّب عنا معنى وجود إياس بن قبيصة الطائي في

(١) زُرارة بن عُدَس: سيّد من سادات تميم، له أخبار كثيرة. انظر: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ١: ٧٦، ٢٣٦، ٤٥٠.

(٢) الأذواد: جمع الدّود، وهي في الجمال من ثلاثة إلى عشرة.

(٣) ديوان شعر حاتم بن عبدالله الطائي (تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني القاهرة، ١٧٠).

(٤) الشَّقَائِقُ: جمع الشَّقِيقَةِ، وهي الفُرْجَة بين الجبلين تُنبِت العشب.

(٥) الدَّرَادِقُ: جمع الدَّرَادِقِ، وهي صغار الإبل وغيرها.

الحيرة، ومبلغ نفوذه فيها، حتى إن الفرس قد عيّنوه على الحيرة خَلْفًا للنعمان بن المنذر، آخر أمراء المناذرة.

أخشى أنني أستبق الأحداث، فأجدر بي أن أرتدّ إلى عهد الحارث الأصغر وابنه النعمان، إذ روى ابن الكلبي - وهو راوية ديوان حاتم الطائي - أن طيئاً "أغارت على إبلٍ للحارث بن عمرو الجفني، وقتلوا ابناً له، وكان الحارث إذا غضب حلف ليقْتلَنَّ ويستبينَ الذّرارين فحلف ليقْتلَنَّ من العوّث أهل بيتٍ على دمٍ واحد، فخرج يريد طيئاً، فأصاب من بني عديّ بن أحرّم تسعين رجلاً، رأسهم وهم ابن عمرو من رهط حاتم"^(١).

ويمكن تصحيح الرواية استناداً إلى ما مرّ على علاقة غسان بأسد وذبيان، وقد تبيننا أن النعمان بن الحارث الأصغر كان يحمي حمى بين عالج (النّفوذ) والجناب (الجَهراء)، ويظهر أن الحملة التي أصابت أسداً وذبيان أصابت طيئاً أيضاً، فهي حملة واحدة فيما أرجح.

صدى الحملة في شعراء طيئ

لا نجد - أو لم أجد - صدى لهذه الحملة في غير شعر حاتم الطائي.

(١) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص ١٨٧-١٨٨. وفي ديوانه (طبعة دار صادر بيروت، ؟ ص ٥٥: "أغارت طييء على إبل للنعمان بن الحارث بن عمرو ورجل من بني جفنة، وقتلوا ابناً له". وفي الموقفيات للزبير بن بكار (تحقيق سامي مكّي العاني، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢)، ص ٤٤٣:

"أغارت طييء على إبل النعمان بن الحارث بن أبي شمر الجفني، وقتلوا ابناً له". وفي الأغاني (تحقيق عبدالستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩) ١٧: ٢٨٨ أغارت طييء على إبل للنعمان بن الحارث بن أبي شمر الجفني، ويقال هو الحارث بن عمرو رجل من بني جفنة، وقتلوا ابناً له".

ذكر ابن الكلبي أن حاتماً كان بالحيرة عندما غزا النعمان طيئاً، فلما قدم الجبلين جعلت المرأة تأتيه بالصبي من ولدها، فنقول: يا حاتم أسر أبو هذا. فلم يلبث إلا ليلة حتى سار إلى الحارث ومعه ملحان بن حارثة، وكان لا يسافر إلا معه.^(١)

* * *

وفي ديوان حاتم ثلاث قصائد في هذه المناسبة، يظهر أنه قال أولاً هنّ إذ عزم على السفر إلى الحارث:^(٢) ومطلعها:

ألا إنني قد هاجني الليلة الذكّر وما ذاك من حُبِّ النساءِ ولا الأشْر

ويتبدى في هذه القصيدة - أو المقطوعة^(٣) - غموض مصير الأسرى الطائيين، فحاتم لا يدري ما الحارث فاعل بهم: أيخلى سراحهم، ويردهم إلى أهليهم، أم يستبقهم أو يقتلهم صبراً أو يسترقهم؟

ومصيرهم بين خير مأمول من الحارث - خير الناس حياً وميتاً - وشراً متوقّع سيحتمله هو وقومه، كما احتملوا شراً قبله، وصبروا عليه:

فيا ليت خير الناس حياً وميتاً يقول لنا خيراً ويُمضي الذي انتَمَر
فإن كان شراً فالعزاء بأننا على وقعاتِ الدَّهرِ من قبلها صُبر

ويحدّد حاتم، من خلال دعاء بالسُّقيا، مقرّ الحارث بن عمرو، فيجعله جنوبَ جبال الشّراة من مآب إلى زُغر:

(١) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال) ص ١٨٨. والموقفيات، ص ٤٤٣. والأغاني، ١٧: ٢٨٨-٢٨٩.

(٢) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ١١٨.

(٣) لأنها تسعة أبيات.

سَقَى اللّهُ رَبُّ النَّاسِ سَحّاً وَدِيمَةً جَنُوبَ الشَّرَاةِ مِنْ مَّآبٍ إِلَى زُغَرٍ (١)
بِلَادَ امْرِئٍ لَا يَعْرِفُ الذَّمَّ بَيْتَهُ لَهُ الْمَشْرَبُ الصَّافِي وَلَيْسَ لَهُ الْكَدْرُ

ويستوقف هذا التحديد لبلاد الحارث الغساني "جنوب الشّرة من مآب إلى زُغَر": يستوقف جغرافياً لأن جبال الشّرة كلّها اليوم تقع جنوب جبال مآب (مؤاب اليوم)، ويفصل بينهما وادي الحسا. أما جبال مؤاب فتقع بين وادي المؤجِبِ شمالاً ووادي الحسا جنوباً.

فتحديد حاتم لا يوافق أسماء المواقع اليوم. أكان حاتم لا يعرف ديار غسان لأنه ليس من أهلها، فأخطأ في تحديد المواقع، أم أن أسماء المواقع اليوم غيرها في زمن حاتم؟

والجواب عن هذا التساؤل يحتم عليّ ولوج باب من أبواب الجغرافية التاريخية، فتحديد الشّرة ومآب وزُغَر يحتاج إلى بحث خاص من أهل الاختصاص بذلك الباب.

وإن جاز لي أن أقول في هذا المقام شيئاً أقل: يبدو أن رواية البيت هي:

سَقَى اللّهُ النَّاسَ سَحّاً وَدِيمَةً جَنُوبَ السَّرَاةِ مِنْ مَّآبٍ إِلَى زُغَرٍ

فهي السّرة وليس الشّرة، وهذه هي الرواية التي أثبتتها طبعة صادر (٢) من

ديوان حاتم، وهي المثبتة في الأغاني (٣) والموقفيات (٤).

(١) السّح: الصّب المتتابع. والديمة: المطر يدوم يومين وثلاثة مع سكون.

(٢) ص ٥٦.

(٣) ١٧ : ٢٨٩.

(٤) ص ٤٤٤.

وَزُعْرٌ كَثِيرَةٌ الْوُرُودِ فِي كِتَابِ الْجُغْرَافِيَيْنِ الْعَرَبِ ذَكَرَهَا ابْنُ حَوْقَلٍ^(١)
وَالْأَصْطَخْرِيُّ^(٢) وَيَاقُوتُ^(٣). وَقَالَ عَنْهَا ابْنُ شَدَّادٍ: "هِيَ مَدِينَةٌ حَارَّةٌ مُتَّصِلَةٌ بِالْبَادِيَةِ،
وَبِهَا نَيْلٌ لَا يُقَصَّرُ عَنْ نَيْلِ كَابُلٍ"^(٤).

وقد لفتني من تعليق الدكتور سامي الدهان - محقق الأعلام الخطيرة - ما ذكره
أن "زُعْرٌ هي قرية الشيخ عيسى في جنوبي البحر الميت"^(٥)، فسألت زميلي الدكتور
حسن عبدالقادر والدكتور محمود أبو طالب، فأخبراني أنه لا توجد قرية باسم زغر
اليوم، ولا قرية باسم الشيخ عيسى كما ذكر الدكتور سامي الدهان.

* * *

وذكر ابن الكلبي أن حاتماً قال في أسارى قومه، وكانوا عند بعض الملوك،
فلما سمع هذا الشعر وهبهم له"^(٦).

قال: (٧)

أَبَى طَوْلٌ لَيْلِكَ إِلَّا سُهُودًا فَمَا إِنْ تُبِينُ لِصُبْحِ عَمُودَا
أَبِيْتُ كَثِيْبًا أَرَاعِي النَّجْمَ وَأَوْجِعُ مِنْ سَاعَدِي الْحَدِيدَا
أَرْجِي فَوَاضِلَ ذِي بَهْجَةٍ مِنْ النَّاسِ، يَجْمَعُ حَزْمًا وَجُودَا

-
- (١) ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي، صورة الأرض (دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠)، ص ١٦٠.
(٢) الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك (تحقيق محمد
عبدالعال الحيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦١)، ص ٤٧.
(٣) معجم البلدان، مادة زغر.
(٤) ابن شداد، عز الدين أبو محمد بن علي إبراهيم الجبلي، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام
والجزيرة، قسم الشام (تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٢)، ص ٦٧.
(٥) نفسه، ص ٢٨٩ (الحاشية).
(٦) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص ٢٠٦.
(٧) نفسه، ص ٢٠٦-٢٠٧.

نَمْنُهُ أَمَامَهُ وَالْحَارِثَا نِ حَتَّى تَمَهَّلَ سَبْقًا جَدِيدَا
كَسَبِقِ الْجَوَادِ غَدَاةَ الرَّهَا نِ أَرْبَى عَلَى السَّنِّ شَأوًا مَدِيدَا
فَأَجْمَعُ فِدَاءً لَكَ الْوَالِدَانِ لَمَا كُنْتَ فِينَا بِخَيْرِ مُرِيدَا
فَتَجْمَعُ نُعْمَى عَلَى حَاتِمِ وَتَحْضُرُهَا مِنْ مَعَدِّ شُهُودَا
أَمِ الْهَلْكَ أَدْنَى فَمَا إِنْ عَلِمْتُ عَلَيَّ جُنَاحًا فَأَخْشَى الْوَعِيدَا
فَأَحْسِنُ فَلَا عَارَ فِيمَا صَنَعْتُ نُحْيِي جُدودًا وَتَبْرِي جُدودَا

فالحارث بن عمرو نماه حارثان وأمامة. ويغلب عليّ الرُّجحان أن الحارث هو الحارث الأصغر، وأن الحارثين اللذين نُمياه هما الحارث بن جبلة (وهو الحارث ابن أبي شمر الأعرج)، والحارث بن ثعلبة. أما أمامة فاسم أمه، أم الحارث الأصغر.

* * *

وقد أطلق الحارث من كان أسرهم من رهط حاتم، فقال: (١)

أَبْلَغِ الْحَارِثَ بِنِ عَمْرٍو بِأَنِّي حَافِظُ الْوُدِّ مُرْصِدٌ لِلثَّوَابِ
وَمُجِيبٌ دُعَاةِ إِنْ دَعَانِي عَجِلاً، وَاحِداً، وَذَا أَصْحَابِ

فالحارث هو الحارث بن عمرو، وحاتم حافظ للود، ومقدّر صنيع الحارث عليه. وهو يَعِدُه أن يلبّي الحارث إذا دعاه، هو وحده، أو هو وأصحابه.

إِنَّمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ فَاعْلَمْ سَئِرٌ تَسْعُ لِلْعَاجِلِ الْمُتَّابِ
فُتْلَاثٌ مِنَ السَّرَاةِ إِلَى الْحَلِيطِ لِلْحَيْلِ جَاهِدًا وَالرِّكَابِ (٢)

(١) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص ١٩٤-١٩٧.
(٢) أخذت رواية هذا البيت من الديوان (طبعة صادر)، ص ٢٧ وفي (الحلِيط) اختلاف في الرواية أثبت علي حاشية الديوان. ونجد بعض التشابه بين أسماء الأماكن في ديوان حاتم وديوان امرئ القيس. وورد في ديوان امرئ القيس (الحلِيط) انظر الديوان (تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٧٨، ٣٩٦).

وثلثا يَـرْدُنْ رَهْـوَاً وَثَلَاثَ يُغْرُونَ بِالْإِعْجَابِ (١)
فإِذَا مَا مَرَرْتَ فِي مُسْبَطَرٍ فَاجْمَعِ الْخَيْلَ مِثْلَ جَمْعِ الْكِعَابِ (٢)

فبين الحارث وطَيِّئ سیر تسع ليال لمن قصد الزيارة، فعجل فيها: ثلاث من السّرة حيث ديار غسان إلى الحلبط، وثلاث من الحلبط إلى تيماء، وثلاث إلى ديار طَيِّئ حيث الطريق بينهما واضح.

ليت شعري متى أرى قُبَّةً ذا تَ قِلاَعٍ لِلْحَارِثِ الْحَرَّابِ
بِقَاعٍ، وَذَاكَ مِنْهَا مَحَلٌّ فَوْقَ مَلِكٍ يَدِينُ بِالْأَحْسَابِ

أخلاقُ بهذين البيتين أن يكونا في رحلة الدّهاب إلى الحارث وليس في رحلة الإياب!

والحارثُ في قُبَّة ذاتِ قِلاَعٍ على يَفَاعٍ من الأرض، وهو حَرَّابٌ، (٣) وهذا لقب للحارث الأصغر مثلما كان لقبُ الوهاب (٤) للحارث بن أبي شمر.

* * *

ومما يلفت في هذه القصائد إباء حاتم وشعوره بالعزّة: فهو لم يعتذر اعتذار النابغة حين أوهن ذبيان وأوهاها، وتحدث عنها كأنه ليس منها، أو كأنه غسانياً أكثر منه ذبيانياً. فحاتم لا يرهب الخزاة وحوله قومه التُّعلِّيون كأنهم اللّيوث (٥)،

(١) الرّهو: السير السهل. ويغزون: يطمنن.

(٢) المُسْبَطَرُ: الطريق الممتدّ المستقيم. والكعاب: جمع الكعب، وهو العظم الذي يلعب به الأولاد، ويسمى إلى اليوم بهذا الاسم.

(٣) انظر شرح ديوان لبيد بن ربيعة (تحقيق إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢م)، ص ٥٥-٢٧٥.

(٤) انظر ديوان علقمة الفحل (تحقيق لطفي الصقّال ودريّة الخطيب، دار الكتاب العربي، حلب، ١٩٧٠). ص ٣٩.

(٥) الديوان (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص ١٩٦.

وقومه نشاوى "لَهُمْ مِنْ كُلِّ سَائِمَةٍ جَزْرٌ" (١) وَوَهُمْ بَنُ عَمْرُو - وهو أحد الأسرى الأشراف - جلد جريء بعيد الغارة. وهو - أي حاتم - إذا جاء إلى الحارث لإطلاق سراح الأسرى، فإنه يجيء "كريماً لا ضعيفاً ولا حصيراً" (٢).

ويستوقف أيضاً ذلك التصافي الذي تمّ بين الحارث وحاتم، واستعداد حاتم لتلبية دعوة الحارث، هو وأصحابه، إذا دعاهم.

وكأني بحاتم قد دعا الحارث إلى زيارة ديار طيّء، فوصف له الطريق.

* * *

وقد ودّدت أن أرى في هذه المناسبة شعراً لزيد الخيل الطائي، فارس طيّء وشاعرها ولكن يبدو أن الشعراء الفرسان يصنّدون عن منهل واحد، فتراهم يُجبلون عند الهزيمة وينقدح زُنْدُهُمْ عند النصر.

(٦)

بين غسان وضبّة

أ- إشارة في شعر الفرزدق

للفرزدق خؤولة في بني ضبّة جعلته يفخر ببعض أيامهم في الجاهلية، في نقائضه مع جرير.

وفي بعض ما قاله صلة بأيام ضبّة مع غسان، قال: (٣)

إِن الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنِي لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

(١) نفسه، ص ١٨٩.

(٢) نفسه، ص ١٩٠. والقافية مقيدة.

(٣) شرح ديوان الفرزدق (جمع وشرح عبدالله الصاوي، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٤٤-٧١٩: ٢).

.....
وَأَتَمُّ فِي حَسَبِ الْكِرَامِ وَأَفْضَلُ
وَالْخَيْلُ بَيْنَ عَجَاجَتَيْهَا الْقَسْطَلُ
بِصِفَادِ مُقْتَسِرٍ أَخُوهُ مَكْبَلُ
وَكِلَاهُمَا تَاجٌ عَلَيْهِ مَكْلَلُ
خَالِي حُبَيْشُ ذُو الْفَعَالِ الْأَفْضَلُ
وَالِيهِ كَانَ جِبَاءُ جَفْنَةَ يُنْقَلُ

.....
إِنَّ ابْنَ ضَبَّةَ كَانَ خَيْرًا وَالِدًا
وَهُمْ عَلَى ابْنِ مَرْيَقِيَاءَ تَنَازَلُوا
وَمَحْرَقًا صَفَدُوا إِلَيْهِ يَمِينَهُ
مَلِكَانَ يَوْمَ بُزَاخَةَ قَتَلُوهُمَا
يَا ابْنَ الْمِرَاعَةِ أَيْنَ خَالِكَ إِنِّي
خَالِي الَّذِي غَصَبَ الْمُلُوكَ نُفُوسَهُمْ

وقد شرح أبو عبيدة هذه الأبيات، فذكر يومين لضَبَّةَ على غسان: بُزَاخَةَ،
وَإِضْمَ، وأورد شعراً لبعض شعراء ضَبَّةَ في هذين اليومين.

ب- يوم بُزَاخَةَ

قال أبو عبيدة: "وأما حديث مُحَرَّقٍ وأخيه زياد يوم بُزَاخَةَ، فإنه أغان محرَّقٍ
الغساني وأخوه في إباد وطوائف من العرب من تَغَلِبَ وغيرهم، على بني ضَبَّةَ بن
أدِّ بِبُزَاخَةَ، فاستاقوا النَّعَمَ. فأتى الصريخ بني ضَبَّةَ، فركبوا فأدركوه، واقتتلوا قتالاً
شديداً. ثم إن زَيْدَ الْفَوَارِسِ حَمَلَ عَلَى مُحَرَّقٍ، فاعتقه وأسرته، وأسروا أخاه أسره
حُبَيْشُ بن دَلْفِ السَّيِّدِيِّ، فقتلها بنو ضَبَّةَ (وكان يقال لأخي محرَّقٍ فارس مَرْدُودِ)،
وهُزِمَ الْقَوْمُ، وَأُصِيبَ مِنْهُمْ نَاسٌ كَثِيرٌ".^(١)

وتذهب بي الظنون مذهبها في نسبة اليوم إلى مُحَرَّقِ الْعَسَانِيِّ؛ فلقب مُحَرَّقٍ
قد لحق باثنين - أو أكثر من العرب - أشهرهما مُحَرَّقٍ من المناذرة، وهو عمرو بن
هند لفعلة الشنعاء بتميم حين حرق مائة منهم أحياء، وهو خَبَرٌ شَائِعٌ شَرُودِ.

(١) النقائض، ١: ١٩٥. وانظر الخبر في: الممتع في علم الشعر وعمله، عبدالكريم النهشلي
القيرواني (تحقيق منجي الكعبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ١٩٧٨) ص ١٥١.

وثانيهما مُحَرَّقٌ من غسان وهو الحارث بن عمرو بن عامر من متقدّمي أمراء غسان، لحرقة الحيرة.

وليس هذا مبعثَ الظنّ، وإنما اشتراك تغلب وإيادٍ محرّق الغساني في الغارة على ضَبَّة. وهذا بعيد، فعلاقة إياد وتغلب بالمناذرة أدخُل من علاقتهما بغسان، لقرب الديار، وأخبارهما مع المناذرة كثيرة.

ولعلّ المناسبة الوحيدة التي التقت فيها غسان بتغلب، تلك المناسبة التي أورثت بينهما عداً، والتي جاء خبرها عند ابن الأثير، وهو خبر رواه أبو عبيدة، رواية يوم بُزَاخة نفسه.

قال ابن الأثير: قال أبو عبيدة: إن بكرًا وتغلب ابني وائل اجتمعت للمنذر بن ماء السماء، وذلك بعد حربهم، وكان الذي أصلح بينهم قيس بن شراحيل بن مُرة ابن هُمَام فغزا بهم المنذر بني آكل المُرار، وجعل على بني بكر وتغلب ابنه عمرو ابن هند، وقال: اغز أحوالك فغزاهم، فاقتتلوا فانهزم بنو آل المُرار، وأسروا، وجاءوا بهم على المنذر فقتلهم، ثم انتقضت تغلب ولحقت بالشام....

وعادت الحرب بينهم وبين بكر، فخرج ملك غسان بالشام وهو الحارث بن أبي شمر الغساني، فمَرَّ بأفاريق من تغلب فلم يستقبلوه، وركب عمرو بن كلثوم التغلبي، فلقه فقال له: ما منع قومك أن يتلقوني؟ فقال: لم يَعْلَمُوا بمرورك، فقال: لئن رجعت لأغزوهم غزوة تتركهم أيقاظاً لقدمي! فقال عمرو: ما استيقظ قوم إلا نَبِلَ رأيهم وعزّت جماعتهم، فلا توقظن نائمهم. فقال كأنك تتوعّدي بهم، أما والله لتعلمنّ إذا نالت غطاريف غسان في دياركم أن أيقاظ قومك سينامون نومة لا حُلْم فيها، تجتث أصولهم، وتنفّي قَلَمهم إلى اليباس الجَدَد والنازح النَّمْد!^(١)

(١) القَل: المنهزمون (يقال للواحد والجمع). والجَدَد: المكان المستوي. والنَّازح النَّمْد: المكان ذو الآبار بعيدة القاع قليلة الماء شأن آبار الصحراء.

ثم رجع عمرو بن كلثوم عنه وجمع قومه، وقال:

ألا فاعلمم أبيات اللعن أنا أبيت اللعن تآبى ما تُريدُ
تعلّم أن محمّنا ثقيلٌ وأن دبار كبتنا شديدٌ^(١)
وأنا ليس حيّ من معدّ يُقاومنا إذا لبس الحديدُ

فلما عاد الحارث الأعرج غزا بني تغلب، فاقتتلوا واشتدّ القتال بينهم، ثم انهزم الحارث وبنو غسان، وقتل أخو الحارث في عدد كثير، فقال عمرو بن كلثوم:

هلا عطفت على أخيك إذا دعا بالثكل ويل أبيك يا ابن أبي شمز
فدق الذي جشمت نفسك واعترف فيها أخاك وعامر بن أبي حجر^(٢)

* * *

فأن يكون هذا اليوم مع عمرو بن هند أرجح.

ولا يظهر من قصيدة إياس بن القائف أن محرّقاً قتل في ذلك اليوم، وقد تحدّث فيها ابن القائف عن إقبال جيش مُحَرَّق، فنلقاه فوارس ضبة، ومنهم زيد الخيل بن حصين بن ضرار الضبّي وابنا مُنذِر، وسموا له بالطعن، فرماه زيد الخيل بغرّة فرسه (كامل)، وكأنه ليث ضارٍ بكفيه المنية:
قال: ^(٣)

نعم الفوارس يوم جيش مُحَرَّقٍ لحيوا وهم يدعونني لضرارٍ
زيد الفوارس كرّ وابنا مُنذِرٍ والخيل أوجفها بنو جبار^(١)

(١) الدّبار: الهلاك. والكبّة: الدّفعة من الرجال في القتال.

(٢) الكامل في التاريخ، ١: ٣٢٥.

(٣) النفااض، ١: ١٩٥.

حتى سَمَوْا لَمْحَرَّقٍ بِرِمَاجِهِمْ بِالطَّعْنِ بَيْنَ كَتَائِبِ وَعُجْبَارِ
يَرْمِي بَعْرَةَ كَامِلٍ وَبَنَحْرِهِ خَطَرَ النُّفُوسِ وَأَيَّ حِينِ خِطَارِ
وَكأنَّ زَيْدًا زَيْدَ آلِ ضِرَارِ لَيْتَ بِكُفَيْهِهِ الْمَنِيَّةُ ضَارِ

وانجلت المعركة عن قتلى من جيش محرَّق تحطَّ عليهم عافياتُ الطَّير، وعن
رماح تكسرت قناها:

جَعَلُوا لِعَافِي الطَّيْرِ مِنْهُمْ وَقَعَةً صَرَعَى تَضَوَّرُ فِي قِنَا أَكْسَارِ

ولا نجدُ ذِكْرًا في قصيدة ابن القائف لفارس مَرْدُودِ الذي ذكر ابن الكلبي^(٢)
وابن الأنباري^(٣) أنه رجل من غسان، واستشهدا بقول ربيعة بن مَقْرُومِ الضَّبِّي^(٤):

وفارس مَرْدُودٍ أَشَاطَتْ رِمَاحُنَا وَأَجْرَزْنَ مَسْعُودًا ضِبَاعًا وَأُدُوبًا^(٥)

ج- يوم إضم

يبدو أن في شمال الجزيرة أكثر من مكان كان يسمَّى إضمًا^(٦) وأقرب تحديد
لما نحن فيه ما ورد في قول سلامة بن جندل التميمي - وبين تميم وضبة

(١) أَوْجَفَ الْخَيْلَ: حَثَّهَا عَلَى الْجَرْيِ.

(٢) أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها (تحقيق أحمد زكي، الدار القومية، القاهرة،
١٩٦٥م)، ص ٩٩.

(٣) شرح المفضليات، ص ٧٤٠.

(٤) انظر القصيدة في شرح المفضليات، ص ٧٣٢-٧٤٠.

(٥) أشاط: أهلك. وأجرز: أطمع.

(٦) انظر معجم البلدان، ماد إضم.

اختلاط- حيث حدّد إضماً "بين الدكادِكِ من قَوْ فَمَعْصُوبٍ"^(١)، وَقَوْ فِي الْجِنَابِ،
الجَهْرَاءِ الْيَوْمِ، كما ذكرنا من قبل.

ومن خبر ذلك اليوم أن عمرو بن الحارث بن أبي شَمِرٍ "أقبل حتى أغار على
بني ضَبَّةَ فأصاب بني عائذة بن مالك بن سعد بن ضَبَّةَ، وقد كانوا أوقدوا مع
جِرْوَةَ وشَقْرَةَ ابني ربيعة بن ثَعْلَبَةَ بن سعد بن ضَبَّةَ ناراً للحرب، فقال الملك: ما
هذه النار التي تُدَخِّنَ علينا؟ قالوا: هذه شَقْرَةَ وجِرْوَةَ قد أوقدوا ناراً للحرب! قال:
احملوا عليهم. فحملوا عليهم فأبادوا يومئذ بني عائذة"^(٢).

ويذكر أنّ ضَبَّةَ أسرت عمرو بن الحارث بن أبي شَمِرٍ، أسره حُبَيْشُ بن دُلْفِ
الضَبِّيِّ، فجزَّ ناصيته، ومنَّ عليه، واشترط عليه جُعلاً يُوَدِّيهِ في كل سنة إليه.^(٣)

ويقال: "جاء رجل من بني قيس بن عائذة يُدعى عامر بن ضامر فقال: والله
لأطعننَّ اليوم طعنةً كَمَنْخِرِ الثَّورِ النَّعْرِ"^(٤)، فطعن ابنَ مُزَيْقِيَاءَ وقتله وانهزم
أصحابه هزيمة قبيحة، فقال ربيعة بن مَفْرُوم:

وَأَلْ مُزَيْقِيَاءَ وَقَدْ تَدَاعَتْ حَلَايُهُمْ لَنَا حَتَّى قَرِينَا
صَبْرْنَا بِالسِّيُوفِ لَهُمْ وَكَانَتْ مَعَاقِلُنَا بِهِنَّ إِذَا عَصِينَا

(١) من مطلع قصيدته:

يا دار أسماء بالعلياء من إضم بين الدكادِكِ من قَوْ فَمَعْصُوبٍ

انظر ديوانه (تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ١٩٦٨)، ص ٢٢٣.

(٢) النقائض، ١: ١٩٥-١٩٦.

(٣) الحلبي، أبو البقاء هبة الله، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية (تحقيق صالح

درادكة ومحمد خريسات، مكتبة الرسالة الجديدة، عمان، ١٩٨٤)، ١: ١٧٠ و ٢: ٥٢٦.

(٤) الثور النَّعْرِ: الثور الذي دخلت في مَنْخَرِهِ النَّعْرَةُ، وهي ذبابة زرقاء تسقط على الدواب
فتؤذيها، وتدخل في أنوفها فتتهيجها.

وقالت نائحته:

لَعْمَرِي لَقَدْ غَاذَرْتُمْ يَوْمَ رُحْنُكُمْ عَلَى إِضْمٍ مِنْكُمْ عَقِيرَةَ عَامِرٍ
لَقَدْ خَطَّطَ الْأَنْوَاءَ طَعْنَةً عَامِرٍ أَلَا يَا قَتِيلًا مَا قَتِيلُ ابْنِ ضَامِرٍ^(١)

وليس في الشعر ما يدلّ على اسم الغساني الذي أسره حُبَيْسٌ ولا اسم الغساني الذي قتلته ضَبَّةٌ أو قتله عامر بن ضامر.

ويُستبعد كثيراً أن يكون حُبَيْسٌ أسر عمرو بن الحارث الأصغر ممدوح النابغة الذبياني، لأن مثل هذا الأسر ما كان ليمرّ من غير أن يكون له صدى في الشعر الجاهلي.

وربيعة بن مَقْرُوم الذي استشهد به أبو عبيدة عن يومي بُزَاخَةَ وإِضْمٍ شاعر مخضرم "عاش في الإسلام دهنراً وشهد القادسية"^(٢)، وله في القادسية شعر^(٣). ويغلب عليّ الظنّ أن الأبيات التي استشهد بها أبو عبيدة عن يوم إِضْمٍ "وَأَلْ مُزَيْقِيَاءٍ وَقَدْ تَدَاعَتْ" إسلامية، وأنه قالها في فتح الشام. بل لماذا أجعلها في فتح الشام، فالمناذرة أيضاً من آل مُزَيْقِيَاءٍ عمرو بن عامر الأزدي؟^(٤)

* * *

ولعلّ أظهر ما يلفت من دراسة أيام غسان مع الأحاليف في الشعر الجاهلي أن صورة التحالف الحقيقي بين أسد وذيبيان وطَيِّئٍ وضَبَّةٍ لم يظهر في الشعر،

(١) نفسه، ص ١٩٠. والقافية مقيدة. النقائض، ١: ١٩٦.

(٢) ديوان المفضلين (شرح ابن الأنباري)، ١: ٧٣١.

(٣) انظر: ابن قتيبة، أبو محمد بن عبدالله بن مسلم، الشعر والشعراء (تحقيق دي جويه، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٢)، ص ١٨٠.

(٤) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ١: ١٤٠-١٤٦.

حيث ظلّ شعراء هذه القبائل يتحدثون عن قبيلتهم، ولا يوردون التحالف. ولا أكاد أستثني إلا ما ورد عن النابغة الذبياني، حيث رأينا فيه حلف ذبيان وأسد.

* * *

المصادر والمراجع

- ابن الأثير علي بن أبي الكرم:
الكامل في التاريخ، الطباعة النيرية، القاهرة، ١٣٤٨هـ.
- الأصبهاني، حمزة بن الحسن:
تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟.
- الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي:
المسالك والممالك، تحقيق محمد عبدالعال الحيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٩م.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين:
الأغاني، تحقيق عبدالسلام أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩م.
- الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان بن عيسى:
أشعار الشعراء الستة الجاهليين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١م.
- امرؤ القيس:
ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.
- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي:

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبدالسلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١م.

- الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل:
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مطبعة الظاهر، القاهرة، ١٩٠٨م.
- ثعلب، أحمد بن يحيى:
مجالس ثعلب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:
البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٢م.
- جواد علي:
المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد، ١٩٧٦م.
- حاتم الطائي:
ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، ؟.
ديوان شعر حاتم الطائي، تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، ؟.
ديوان حاتم الطائي، تحقيق علي العتوم، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٧٤م (مخطوط).
- ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية:
المحبر، تحقيق ايلزة ليختن، حيدر آباد، ١٩٤٢م.

- حسان بن ثابت:
- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق عبدالرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية، القاهرة، ؟.
- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.
- الحلّي، أبو البقاء هبة الله:
- المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق صالح درادكة ومحمد خريسات، مكتبة الرسالة الجديدة، عمان، ١٩٨٤م.
- حمد الجاسر:
- غرب الجزيرة، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٠م.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي:
- صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟.
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد:
- تاريخ ابن خلدون، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦١م.
- الزبير بن بكار:
- الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢م.
- زهير بن أبي سلمى:
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٤م.
- زيد الخيل الطائي:
- ديوان زيد الخيل الطائي، صنعة نوري حمودي القيسي، مطبعة النعمان.
- ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى:

- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢م.
- سلامة بن جندل:
- ديوان سلامة بن جندل، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ١٩٦٨م.
- الشلبي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله:
- آكام المرجان في أحكام الجان، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٦هـ.
- ابن الشجري، هبة الله بن عبدالله:
- مختارات شعراء العرب، تحقيق علي محمد بجّاوي، مكتبة دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٥م.
- ابن شدّاد، عز الدين أبو محمد محمد بن علي بن إبراهيم الجليبي:
- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٢م.
- الشمشاطي، علي بن محمد بن المطهر العدوي:
- الأنوار ومحاسن الأشعار، تحقيق السيد محمد يوسف، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٧م.
- ابن عبد ربه، أحمد بن عبد ربه:
- العقد الفريد، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٣٥م.
- عبيد بن الأبرص:
- ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق حسين نصار، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧م.

- أبو عبيدة، معمر بن المثنى:
نقائض جرير والفرزدق، تحقيق بيفار، بريل، ليدن، ١٩٠٧م.
- العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبدالله:
المصون في الأدب، دار الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢م.
- عمرو بن شأس الأسدي:
شعر عمرو بن شأس الأسدي، صنعة يحيى الجبوري، مطبعة الآداب،
النجف، ١٩٧٦م.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل:
المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، ؟.
- الفرزدق:
شرح ديوان الفرزدق، جمع وشرح عبدالله الصاوي، المكتبة التجارية،
القاهرة، ؟.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب:
القاموس المحيط، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٦م.
- القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم:
ذيل الأمالي والنوادر، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧٣هـ.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم:
الشعر والشعراء، تحقيق دي جوية، مطبعة بريل، لندن، ١٩٠٢م.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد:
نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، الشركة
العربية، القاهرة، ١٩٥٩م.

- ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب:
أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام، تحقيق أحمد زكي، الدار القومية،
القاهرة، ١٩٦٥م.
- جمهرة النسب، تحقيق محمد فردوس العظم، دار اليقظة العربية، دمشق، ؟.
- لبيد بن ربيعة:
شرح ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢م.
- المرتضى، علي بن الحسين الموسوي:
أمالي المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكاتب اللبناني،
بيروت، ١٩٦٧م.
- المسعودي، علي بن الحسين:
مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة
السعادة، القاهرة، ١٩٥٨م.
- المفضل الضبي:
المفضليات، شرح ابن الأنباري، تحقيق كارلوس لايل، مطبعة الآباء
اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠م.
- المفضليات، تحقيق أحمد شاکر وعبدالسلام محمد هارون، دار المعارف،
القاهرة، ١٩٧٦م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد مكرم:
لسان العرب، دار صادر ودار بيروت، ١٩٥٦م.
- النابغة الذبياني:
ديوان النابغة الذبياني، تحقيق كرم البستاني، دار صادر ودار بيروت،
بيروت، ١٩٦٠م.

ديوان النابغة الذبياني، جمع محمد بن عاشور، الشركة التونسية، تونس
١٩٧٨م.

ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف،
القاهرة، ١٩٧٧م.

- نبيه عاقل:

تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٥م.

- النهشلي، عبدالكريم النهشلي القيرواني:

الممتع في علم الشعر وعمله، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٩٧٨م.

- شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي:

معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٥٧م.

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب:

تاريخ اليعقوبي، دار العراق، بيروت، ١٩٥٥م.

- Doughty, Charles M., Travels in Arabia Deserta, Jonathan Cape, London 1927.

- Hitti Philip, History of Syria, Macmillan & Co L T D, London, 1935.

- Huart, Cl., Histoire des Arabes, Libraire Paul Geuthner Paris, 1912.

- نولدكه، ثيودور، أمراء غسان، ترجمة بندلي خوري وقسطنطين زريق،
المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣.

- O Leary, Arabia Before Mohammad, Kegan Paul, London, 1977.